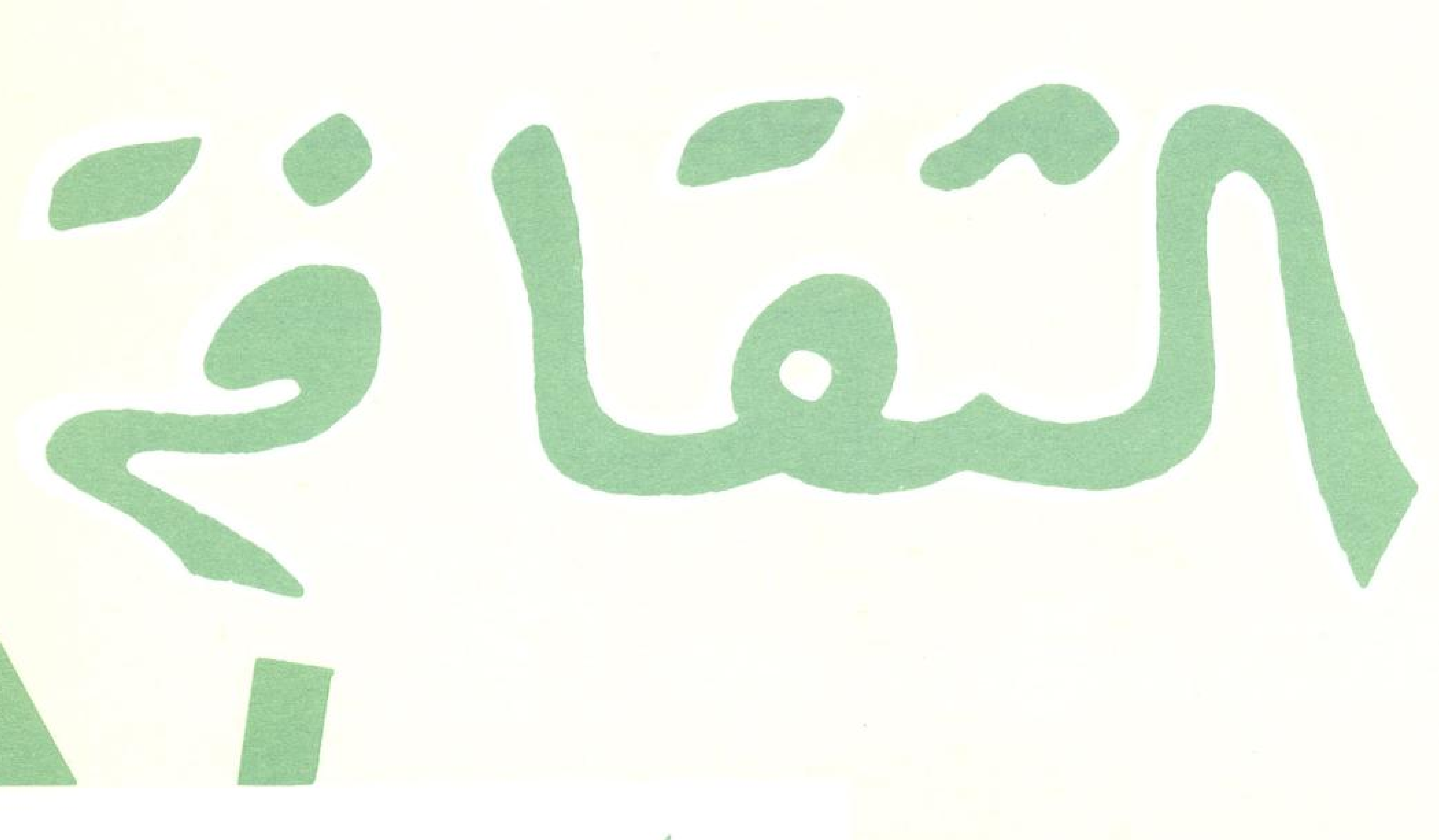


مجلة فكرية جامعة تصدر في دمش

أيلول ١٩٨٩

الثقافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

FONDATEUR

ET REDACTEUR EN CHEF

Madhat Akkache

هـ ٢٢٩٩٨٤ P.H 229984

ص . ب ٢٥٧٠/ B.O.P 2570

دمشق DAMAS

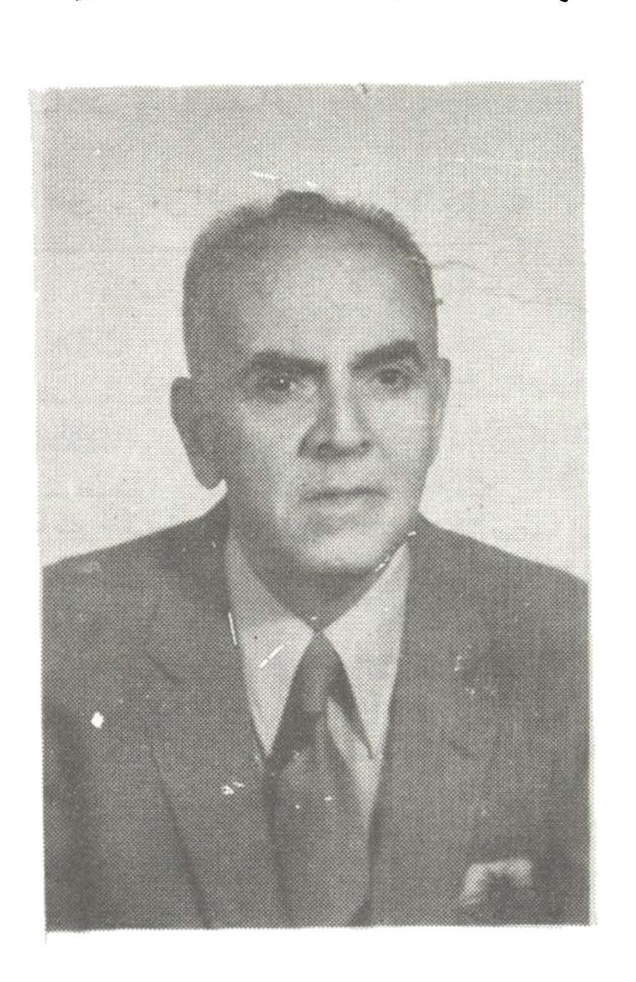


محتويات العدد

الموقف السادس عشر من كتاب

«مواقف انسانية في الشعر العربي»

ابن عربي ووحدة الأديان



عبدالمعين الملوحي

تمهيد :

عرف تاريخ الانسانية ألوانا كثيرة من النزاعات المسلحة وغير المسلحة قامت لأسباب عديدة اقتصادية وسياسية واجتماعية وعرقية وعقائدية ، ولعل من أكثر هذه الحروب شراسة وقسوة الحروب الدينية التي لم تنقطع منذ فجر التاريخ ، وما تزال بقاياها ظاهرة حتى في القرن العشرين في كثير من البلاد الراقية والنامية - ويا للاسف .. ثم ان هذه المعارك الدامية لم تقتصر على الديانات الكبرى ، بل قامت حتى بين المذاهب الفرعية المتنوعة التي انشقت من هذه الديانات من أمثال الحروب بين الكاثوليكية والبروتستانتيه في الدين المسيحي ، وبين السنة والشيعة وحتى بين الشافعية والحنفية في الدين الاسلامي ويروي - على سبيل النكتة فيما أعتقد - أن أحد أتباع المذهب الحنفي سأل أحد المشايخ :

هل كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) شافعيا او حنفيا ؟

فقال له الشيخ : سيدنا محمد أسبق من الشافعي ومن ابن حنيفة ، وكان الشافعي وابن حنيفة فقيهين من أتباع الرسول ، وعندئذ غضب السائل - وكان حنفيا - واتهم الشيخ بالجهل .

ولكن فئة من أهل الاديان على اختلافها قد منعت عن النزاعات بين الاديان وتنزهت عن التعصب للمذاهب . وآمنت بوحدة الاديان ايمانا عميقا كما آمنت بوحدة الانسان في كل مكان . ومارست هذا الايمان ممارسة عملية ، ودعت اليه دعوة نظرية ، وفي طليعة هذه الفئات في الاسلام تأتي الصوفية وفي رأس هؤلاء الصوفية شاعر عربي هو ابن عربي

وتعترضنا هنا ثلاثة أسئلة :

١ - . ما هو الدين أولا

٢ - ومن ابن عربي ثانيا

٣ - وأين دعوته الى وحدة الاديان ثالثا

١ - ما هو الدين :

نبحث عن الدين في مصادر ثلاثة .

١ - في اللغة : جاء في لسان العرب (مادة دين) ما يلي :

دين الديان من اسماء الله عز وجل ، معناه الحكم القاضي ..
والديان : القهار .. وهو فعال من دان الناس اي قهرهم على الطاعة .
يقال : دنتهم فدانوا اي قهرتهم فأطاعوا

والدين : الجزاء والمكافأة .
ودنته بفعلة دينا : جزيته ..
ويوم الدين : يوم الجزاء - وفي المثل: كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى ، اي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت ..وقيل كما تفعل يفعل بك ..
والدين : الحساب ومنه قوله تعالى : مالك يوم الدين ، وقيل معناه مالك يوم الجزاء .
والدين طاعة : والجمع الاديان
والدين الاسلام .
والدين : العادة والشأن
والديانة كالدين
دان نفسه أي أذلها واستعبدها وقيل: حاسبها .
والدين لله من هذا ، فما هو طاعته والتعبد له .
ودنته : ملكته
والدين : الحال
والدين : ما يتدين به الرجل
والدين : السلطان
والدين : الورع
والدين : القهر
والدين : المعصية
والدين : الطاعة
والدين : الداء
والدين : من الامطار ما تعاهد موضعا لا يزال يربي به ويصيبه .

تلك هي مادة الدين في لسان العرب وهي كما ترى تكشف عن الاصل اللغوي للكلمة ، ولا تعرض للمعنى الاصطلاحي .

٢ - الدين في كتب التعاريف الاسلامية :

جاء في جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ، المعروف بدستور العلماء - ٢ : ١١٨ ما يلي :
الدين : بالكسر الاسلام والعادة والجزاء والمكافآت .
و (الدين الاصطلاحي) قانون سماوي سائق لذوي العقول الى الخيرات بالذات ..

وجاء في الكليات للكفري :

الدين بالكسر : في اللغة العادة مطلقا - وهو أوسع مجالا ، يطلق على الحق والباطل أيضا .. ويشمل أصول الشرائع وفروعها ، لأنه عبارة عن وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى الخير بالذات ، قلبيا كان أو قالبيا كالاعتقاد والعلم والصلاة .. وقد يتجوز فيه فيطلق على الاصول خاصة بمعنى الملة ،وعليه قوله تعالى : (دينا قيما ملة ابراهيم) الانعام ١٦١ .
وقد يتجوز فيه فيطلق على الفروع خاصة وعليه (ذلك دين القيمة) البنية ، اي الملة القيمة يعني فروع هذه الاصول .
والدين منسوب الى الله تعالى والملة الى الرسول ، والمذهب الى المجتهد ..
ولا يكاد يخرج التهانوي في كتابه " موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية ج ٢ ص ٥٠٢ - ٥٠٣ " عن هذه التعريفات السابقة فيقول :
الدين بالكسر والسكون في اللغة يطلق على العادة والسيرة والحساب والقهر والقضاء والحكم والطاعة والحال والجزاء ومنه مالك يوم الدين ، وكما تدين تدان، والسياسة والرأي ودان عصى وأطاع و ذل وعز فهو من الاضداد ..
ويقال : الدين هو وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم اياه الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل ، وهذا يشتمل العقائد والاعمال ..

٣ - في دوائر المعارف :

آ - في دائرة المعارف الاسلامية ٩ : ٣٦٨ - ٣٦٩ :
الدين : ذكر فقهاء اللغة من العرب في مادة " دين " معاني مضطربة (انظر مثلا ص ٩٤٤) أساسها كلمات ثلاثة قائمة بذاتها :
١ - كلمة آرامية عبرية مستعارة بمعنى الحساب .
٢ - كلمة عربية خالصة معناها " عادة " او " استعمال " .
٣ - كلمة فارسية مستقلة قام الاستقلال معناها " ديانة "
....

ويعرف الدين من الناحية اللاهوتية بأنه : وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم اياه الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل (كشاف اصطلاحات الفنون ص ٥٠٣) فهو اذن يدل على

ب – في دائرة معارف لاروس :

الدين : عبادة تقدم للالهة .
قال ريفارول :
قليل من الفلسفة يبعد عن الدين وكثير من الفلسفة يقود الى الدين ،
مجموعة العقائد والممارسات المتعلقة بايمان ديني المسيحية المحمدية .
الاعتقادوممارسة دين من الاديان :
الاديان كثيرة : الدين الطبيعي هو الدين المستقل عن كل وحي ، ويقوم على الهامات العقل او القلب او على التراث (التقاليد) الانساني المختلف .

هذه هي مادة الدين في المصادر الثلاثة : اللغوية والدينية والعلمية ، وننتقل الآن الى الفقرة الثانية من البحث :

٢ – من هو ابن عربي :

ليس واردا في هذا البحث التوسع في التعريف بابن عربي ، ولذلك فسنكتفي بما وردفي ترجمته في كتاب الاعلام ٧: ١٧٠

ابن العربي
(٥٦٠ – ٦٣٨ هـ)
(١١٦٥ – ١٢٤٠م)

محمد بنعلي بن محمد بن العربي، ابو بكر الحاتمي الطائي الاندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الاكبر : فيلسوف ، من أئمة المتكلمين في كل علم ، ولدفي مرسية (بالاندلس) وانتقل الى اشبيليه ،وقام برحلة فزار الشام ، وبلاد الروم والعراق والحجاز ، وأنكرعليه اهل الديار المصرية " شطحات " صدرت عنه ، فعمل بعضهم على اراقة دمه ،كما اريق دم الحلاجو أشباهه ، وحبس ، فسعي في خلاصه علي بن فتح البجائي (من اهل بجاية) فنجا واستقر في دمشق ، فتوفي فيها ، وهو كما يقول الذهبي : قدوة القائلين بوحدة الوجود ، له نحو اربعمائة كتاب ورسالة منها " الفتوحات المكية ط) عشر مجلدات ، في التصوف وعلم النفس ..
وأضاف معجم المؤلفين قوله :

وتوفي بها (بدمشق) في ٢٢ ربيع الاخر ودفن بسفح قاسيون .

٣ – أين دعوته الى وحدة الاديان وموقفه الانساني :

وحدة الاديان فكرة دان بها عدد كبير من الصوفية ولا سيما ابن الفارض والحلاج وابن عربي والجيلي وجلال الدين الرومي
جاء في دائرة المعارف الاسلامية
(و : ٢١٥ – ٢٩٨):
ولابي العربي :
عقد الخلائق في الاله عقائدا
وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فالتصوف نشأ عن المثل الديني الاعلى ، وظل في أدواره كلها مخالفا ما عليه العامة ، مخالفا القراء والفقهاء أهل السنة والمتكلمين والمتفلسفين ، متعرضا لعداواتهم واضطهاداتهم ، من غير ان تخرجه العداوات والاضطهادات عن حدود الحب والتسامح ، فالتصوف كان وحده بين معترك المذاهب تسامحا صرفا وسلاما في كل ما مر به من أدوار ، والصوفي كما قال ابو تراب النخشي – لايكدره شيء، ويصفو به كل شيء ..

نظرت هذه الفئة من المتصوفة (الى الاديان المختلفة والعقائد المتباينة على ان تباين هذه واختلاف تلك ليسا الا من حيث الظاهر – اما من حيث الحقيقة والجوهر تباين ولا اختلاف : فكل ما هنالك من ملل ونحل ليس في حقيقته الا مجرد وسائل يتوسل بها الى غاية واحدة هيعبادة اله واحد – هو خط مشترك بينها جميعا (١)

قال ابن عربي :
" ان العارف المكمل هو من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم الها – مع اسمه الخاص بحجر او شجر او حيوان او انسان او كوكب او ملك ..
أبيات ابنالعربي وموقفه الانساني فيها
قال ابن العربي :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرن

أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالدين ديني وايماني

ونختتم هذا الموقف بفقرة من كتاب (ابن الفارض والحب الالهي) من ٣٠٦ - ٣٠٧) جاء فيها :

وليس من شك في أن ما انتهى اليه ابن الفارض وأشباهه من الصوفية (ومنهم ابن عربي (٢)) من وحدة الاديان ، واتخاذه من الحب دينا ، واعتبار انحرافه عن هذا الدين مفارقة لدين الاسلام وارتدادا عنه ، قد اشتمل على كثير من المعاني الراقية والمثل العليا التي ان اخذ الناس أنفسهم بتحقيقها ، صفت نفوسهم وخلصت قلوبهم ، وسمت مشاعرهم ، فاذا هم ينظرون بعضهم الى بعض على أنهم اخوة متساوون متآخون، لا فرق فيهم بين انسان وانسان ، ولا بين معتنق لدين ومعتنق لدين اخر ، لان الاديان كلها من الله ، قضى بكل دين منها على فريق من الناس ، بحيث لم يختر أحد لنفسه ما يعتنقه من هذا الدين او ذاك ، وهذا من شأنه ان يؤدي الى ان الحواجز بين أفراد الانسان وتحل الوحدة والالفة محل الكثرة والتفرقة ويمحو نور التسامح والاخاء، ظلمة التعصب والشقاق ، فتأتلف القلوب وتتحاب النفوس ، ويصبح الناس جميعا اخوانا متحابين لا اعداء متنابذين ، وعندي أن الذين ينظرون الى التصوف وأذواقه ونتائجه نظرة ازورار او ازدراء مسرفون على أنفسهم وعلى الصوفية ..

أليست نظرة ابن الفارض وأشباهه الى الاديان المختلفة على أنها مظاهر متعددة لجوهر واحد ، الاسبيلا الى تحقيق المثل الاعلى في الحياة الفردية والاجتماعية تحقيقا يعم معه السلام أرجاء العالم ، ويرفرف فيه الحب والاخاء والمساواة بأجنحتها على بني الانسان جميعا ؟ الحق أن ابن الفارض ، ومن نهج نهجه ، وانتهى الى ما انتهى اليه من هذه النتائج الرائعة قد قدموا الى الانسانية أجمل عطاء ، وأسدوا اليها أحسن خير ، وكانوا بذلك من دعاة الحرية والاخاء والمساواة وما اليها من الدعائم التي أقيمت عليها الديمقراطية الحديثة ..(١) ،

ذلك ما ورد في كتاب الدكتور محمد مصطفى حلمي عن ابن الفارض وهو ينطبق تماما على ابن عربي ، بل لعله أشد انطباقا ، فقد فصل ابن عربي رأيه في وحدة الاديان في نثره وفي شعره ، اما ابن الفارض فاكتفى بذكرها في نثره .. والسؤال الذي يرد الآن بعد ذكر هذا الموقف الانساني النبيل لابن عربي وأمثاله ، في القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر الميلادي هو :

هل يتعظ الذين يثيرون الحروب بين الاديان والنزاعات بين المذاهب في القرن العشرين عن اثارة هذه الحروب بين الاديان والفتن بين الطوائف ..؟

نرجو .. وننتظر ..

---

* ان تاريخ العالم ليس مسرحا للسعادة وفترات السعادة صفحات بيضاء منه لأنها فترات انسجام خالية من الصراع .

* ان نبوغ العقل يستثير الاعجاب والتقدير ولكنه يستحيل ان يحظى بالمحبة ."

رضا صافي يتحدث عن الشعر

الحلقة الثالثة والأخيرة

حاورته: سمر روحي الفيصل

يتابع الشاعر الاديب رضا صافي في هذه الحلقة حديثه الماتع عن علاقة الشعر بالواقع ، مجسدا ذلك في شعره ، متتبعا زمنيا البدايات الاولى لاستقلال سورية .

في ٦ أيار ١٩٤٨ ، وكانت (حرب الانقاذ الشعبية) قد أوفت على نهايتها وهي تنتظر الجيوش العربية النظامية لتأخذ مكانها - افتتح في حمص (مؤتمر جمعيات الهلال الاحمر السورية) لنصرة فلسطين . فألقيت في حفل الافتتاح قصيدة منها الأبيات التالية :

بني يعرب ، ان كان حلما قعودكم
فقد طال حتى استيأس الحزم منكمو
لعمري ، لو أن الحلم يعقل لانثنى
لدى (دير ياسين) يثور ويأزم (١)
ألا نزوة للجهل تعصف بالحمى
فينفر أيقاظ ويصحو نوم .. ؟
من الحزم ضبط النفس في موقف الردى
(ولكن صدم الشر بالشر أحزم)
قضى الحق ، فالدنيا مراح لقادر
يحل بها ما يشتهي ويحرم
وما لمريد العيش الا مخالب
والا نيوب فاريات وقضم
أبى لي حب العيش ، قبل مفاخري
هدوءا ، ومن حولي المنايا تدمدم
اذا تلني الباغي لوجهي صفعته
بكفي ، ان لم يسعد الكف لهذم
اذا لم يكن بد من الموت فلأمت
وزندي مبتور وسيفي محطم
من العجز أن ألقى السلام وفي يدي
بقية ظفر قد يراق بها دم

* *

بني يعرب ، قد أنذر الموت فانفروا
اليه خفافا أو ثقالا لتسلموا
والا ، فوا ذل العروبة في غد
يضرسها ناب ويسحق منسم
حذار ، فللاجيال في الغد حكمها
ويا ويل للوانين مما ستحكم
وفيم الونى ، والدهر يشهد أننا
اذا ما اتحدنا أقبل النصر يبسم
شباب ، وايمان ، وسيف ، وساعد (٢)
فهل (قائد) يزجي الصفوف ويقحم؟
وهذا مجال الطامحين وانما
يفوز به نجد ويخفق محجم
زعموا الليث عنا ، حين وجم
ساء ما ظن جهول فزعم
عض من حقد على الناب وان

عض ذو الحقد على الناب اضطرم
شد كفيه على الجرح ، فيا
وثبة الثأر اذا الجرح نأم
ليس من شيمته حمل الاذى
ان من شيمته أن ينتقم
شهدت (ذي قار) منه وثبة
تركت صرح أخي البغي حطم
وببدر ، يا لبدر في العلا
لم يكن ثمة ناس بل رجم
وعلى اليرموك منه نبأ
وبحطين له الدهر علم
لا تقل : ذاك مضى ـ هل نكرت (٣)
أمس في (مشمار) عيناك البهم
نسل عدنان وجند المصطفى
لن يروا الا أسودا في أجم
سامح الله يدا قصتهم (٤)
عن مناهم ، والمنى كانت أمم
ما شكوا حر الوغى ، لكنهم
أصبحوا يشكون آلام الشكم

* *

أي بني أمتي ، لن ينجينا
قولنا : كيف جرى ؟ او كيف تم ؟
خدع عما قريب ينجلي
أمرها ، فابتدروا الامر الاهم
قد أخذتم غيلة ، فاقتحموا
انما ينجو الجريء المقتحم
مات قبل الموت من أقعده
دهش أو عقل الخوف قدم

* *

وا رؤوس العرب ، هل معتصم
بينكم ، يلفي لديه معتصم ؟
راقبوا الله بنا ، ما فترت
همة منا ولا ضن بدم
ادفعونا ، نبن من هاماتنا
شرف الملك لكم شم القمم
أو دعونا نرم عن أعراضنا
فنفز يوم اللقا أو نصطلم
دمة العرب لمن يحفظها
ما لمن ضيع أو راغ ذمم
كل عرش ليس من أكبادنا
أسه فهو قريبا للرغم (٥)

ويرحب مدير المعارف بهم ويلبي طلبهم ، ثم يسألهم ، كيف سيعودون الى ديارهم بعد شهر او شهرين ؟؟ ويكون جوابهم الصريح : أن أبا فلان • ملك يذكرونه بكنيته ـ هو الذي حضهم على النزوح من ديارهم ، تفاديا لمخاطر ما قد ينشب من معارك ، على الرغم من الهدنة المفروضة ، وأكد لهم ان (مجلس الامن) لن يتأخر أكثر من شهر او اثنين حتى يبت قضيتهم ولو على أساس التقسيم ، وتند من أحدهم همسة لعلها كانت : (ليتنا قبلناه منذ البداية) ويغمزه أحد رفاقه فيسكت ولا يزيد •

وتتوالى أخبار (المخب) فهو يقاسم اليهود الديار الفلسطينية التي أخلاها من صفوة سكانها ، ليوسع رقعة ملكه ويزيد في عدد رعيته •

وأكتب ، في تلك الحقبة ، عدة افتتاحيات في مجلة (الامل) تستطيع الرجوع اليها في مكتبة المرحوم والدك التي تضم مجموعة الامل ، كاملة فيما أعتقد ، وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٤٩ ، نحتفل بذكرى (المولد النبوي) في العام الهجري ١٣٦٨ وألقي في الحفل قصيدة اليك بعض مقاطعها :

غفرانك اللهم غفرانا
هنا على المجد فجافانا
لم نجن يا مجد ، ولكن جنى
بعض الالى ظنوك تيجانا
أهبت يا مجد ، فكنا كما
شئت ، غداة الروع ، ذوبانا
تلك ضحايانا ، وها أسدنا
تزأر ، في اثر ضحايانا
لا قر عينا بالمنى خائن
طل الدم المهراق عدوانا
ودك صرحا للعلى شامخا
وأوسع الاركان ايهانا
وراح يبني فوق أشلائنا
ملكا ، فلا بورك بنيانا
واها رسول الله ، قد نالنا
من كيده سهم فأصمانا
لو يرجع الدين الى مهده
وينزل الرحمن قرآنا
لصرحت آياته باسمه
تبت يد الجاني ولا كانا

* *

عفوا رسول الله ، قد رنقت
سود الليالي صفو ذكرانا
كنا اذا ذكراك مرت بنا
نملأ سمع الكون ألحانا
واليوم صمت كل آذانه
فاسمع ، فداك الكون ، شكوانا
قريظة عادت الى غدرها
وانسربت في الدار ثعبانا

وجاءها الاحزاب من خلفها
تذكي بها الاحقاد نيرانا
فزاغت الابصار من حيرة
وانكشف التهويل بهتانا

وقال خب : عورة دارنا
من به القرآن نبانا
فهل حسوم يا رسول الهدى
تكشف عنا ما تغشانا ؟

* *

اي والعلى ، ان الحسوم التي
نرجو ستجري من حنايانا
ومن نفوس حشوها عزة
تحيل ظهر الارض بركانا
نحن لنا الدار فما بالنا
نصبح للطاغين عبدانا ؟
حسب هواة الملك ما نالنا
ان أوان الثأر قد آنا
هلا يد فراسة بيننا
تكتب للثارات عنوانا ؟

وأنت تعرف ان ملكا لقي مصرعه بعد ذلك التاريخ بنحو سنتين ، وان عرشا تحطم في السنة التي تلتها ، ولست من الغباء بحيث أزعم لك ان شعري هو الذي هز النفوس ، وحفز الى الثأر ، ولكني أود أن أدعي انني كنت أتمثل ضمير أمتي وأنفذ الى سرائرها ضمن حدود طاقتي .

....

وتأتينا نهاية شهر آذار من السنة نفسها - ١٩٤٩ - باسلوب جديد للوصول الى سدة الحكم ، هو أسلوب (الانقلاب) ذلك ان الجيش ، بقيادة قائده الزعيم (حسني الزعيم) يباغت رئيس الجمهورية في قصره ، وينادي بقائده (الزعيم) رئيسا على البلاد .

وأراقب الموقف شهرا وبعض شهر ، وأنا لا أعرف الزعيم ، ولعلي لم أسمع به من قبل - فتتجمع لدي الظواهر التالية :

١ - كان الانقلاب ابيض لم ترق فيه قطرة من دم . فالرجل، اذن ، ليس دمويا .

٢ - تتواتر الانباء ، وأكثرها موثوق به ، أن الرئيس المعتقل يعامل في معتقله بمنتهى التكريم والاحترام ، فالرجل ، اذن ، ليس حاقدا .

٣ - يحاول الصهاينة الخروج على بنود الهدنة باعتدائهم على بعض المواقع التي يحرسها الجيش السوري في فلسطين ، فيسير عليهم حملة عسكرية تردعهم وتردهم على أعقابهم ، فالرجل ، اذن ، ساهر على مصلحة الوطن غير متهاون مع اعدائه .

٤ - تتوالى تصريحاته بأنه جندي وقف حياته على خدمة وطنه ، وانه عاش فقيرا وسيموت فقيرا . فالرجل ، اذن ، اذا صدق غير طامع في ثروة او منصب ، وليس لدينا ما يكذب ادعاءه .

٥ - يدعو النواب الى تأليف حكومة الاصلاح ، فيجتمع لديه قريب من ثلثيهم ، وجلهم من المعارضين ، وكلهم يؤيدون حركته ، ولكنهم لا يستطيعون الاتفاق على أسماء سبعة أو ثمانية منهم يؤلفون الوزارة - وأنت تدرك سبب اخفاقهم - فيعلق الحياة النيابية ، ويريح البلاد من ثرثرات ومهاترات تتستر بثوب المعارضة الديمقراطية ، تحملتها طوال ست سنوات على مضض بلغ بها حدود الاشمئزاز والقرف، وقد اوردت لك آنفا شواهد على موقفي الشخصي منها - فليس غريبا ، اذن ، ان انتهي الى ان الرجل مخلص لوطنه راغب في اصلاحه ، بل لعله (الزعيم الفرد) الذي كنت أنشده ، وليكن للقطر السوري على الاقل ، فما يدرينا ما تخبئه الاقدار لسائر الاقطار العربية ، فأكتب افتتاحية عدد أيار ١٩٤٩ من مجلة (الامل) بعنوان (الانقلاب الحكيم) وأنشر في جريدة (السوري الجديد بتاريخ ٤ أيار ١٩٤٩ قصيدة اليك بعض مقاطعها)

ارم ، ياليث الحمى ، دون الحمى
ارم ، فالله بكفيك رمى
وادفع الاسد الى موردها
فلقد أرمضها طول الظما
أبت الماء قراحا سائغا
انما موردها صرف الدما
يوم (مشمار) ومن يجهله ؟
كان يوما في المعالي معلما
أف للحكم ، فلولا حمقه
لم تكن (مشمار) الا سلما

* *

خلني من زخرف القول فما
كان غير الخلف ما راع الحمى
ألف كف ، بينها ضاع الحجا
وجنينا صابها والعلقما
ومنى حمقاء هوجاء مشت
تصدع الحائط حتى انهدما
أمة وحدها الله فما
بالها ، في الروع ، جاءت أمما ؟
ينفث الغرب بها من سمه
فيراه مترفوها دسما
رب تاج زائف او مذهب
زائغ قد اورثاها السقما
عجبا ، والغرب الب دوننا
يخذل الساعد منا المعصما

* *

يا زعيمي ، كم ليـال بتهـا
ساهر الطرف أراعي الانجمـا
أسأل العرب ، اما من خالـد
أو صلاح واحد يحمي الحمى ؟
بابل في أرضنـا قد بعثـت
فسمعنا كل صوت أعجمـا
وافتقدنـا العرب في زحمتهـا
فاذاهم هلك الا ذمـا
خدع بهرجهـا الغرب لنـا
ورماهـا بين أيدينـا دمى
خدع القوم بها بل خدعـوا
قومهم ، حتى كشفت الغمما
ألسن أخرستها ، يا طالمـا
تخذت من زائف الشورى حمى
وظبى الباغين قد ثلمتهـا
فارم ياحازم حتى تحطمـا

* *

يا فقيرا عز بالهمة ، هل
كانت الثروة الا الهمما ؟
بأبي وثبتك الكبرى ، فلا
تلف الا واثبـا مقتحمـا
الغنى أن تملأ الدار ندى
وهدى كالصبح ، لا أن تتخمـا
والغنى حزم وعدل وحجـا
فاذا أعطيتها نلت السمـا
والغنى ذكر جميل خالـد
ان للتاريخ عينـا وفمـا

* *

ايه ياجيش العلا حي على
شرف طال السما لما سما
ان للعرب منى ، أنت لهـا
وعظيم الامر يبغي الأعظمـا
نحن ما شئت فدى أو نجدة
أو نصالا للوغى أو أسهمـا
فامض بسم الله والعرب ولـن
يخذل الله الهدى والشمما
ان يوما يجمع اللـه بـه
شملنا ، أصبح منا أممـا

* *

وكنت في حماستي لعهد (الزعيم) ألاقي تثبيطا من فئتين : فئة زملائي الموظفين ، فقد كان بعضهم يقول لي : مالك ولهذا يا فلان، فما نحن الموظفين الا (متعيشة) همنا أن نؤمن لأسرنا لقمة العيش . وفئة الاخوة الادباء ، فقد كان بعضهم ينصحني بترك السياسة لأهلهـا ، والانصراف الى شعر الغزل والطرب، زاعمين ان صوتي فيهما أندى وعاطفتي أرق وأصدق

ويأتي شهر حزيران من سنة الانقلاب – ١٩٤٩ – وتخصص ايام منه لاقامة حفلات ومهرجانات تجمع فيها التبرعات لدعم الجيش بزيادة عدد أفراده ، وتزويده ، بالجديد والحديث من العتاد والمعدات ، واشارك في احدى الحفلات بقصيدة استهلها بالابيات التالية :

ثكلت العبيد القانعين بلقمة
من العيش والراضين بالذل والخنا
أأشدو ليرضوا ، أو أغني ليطربوا
وقد عصفت بالدار عاصفة الفنا ؟
فلسطين في أيدي اليهود سبية
وتوشك أغلال السباء تعمنا
وأشدو بغير الثأر ؟؟ لا قر خاطر
ولا نعمت نفسي يخادعها الهنا

وبعد أن أتحدث عن مكان الجيش في صون الاستقلال وحماية الانفس والاموال، والاعراض ، ومن ثم عن وجوب دعمه والبذل له ، أختم القصيدة بالمقطع التالي :

زعيمي ، تمنيت النجوم قوافيا
لأنظم منها خالص المدح والثنا
فأكبت حسادا ، وأقضي واجبا
وأصدق ميثاقا ، وأرضي موطنا
هنيئا لنا أن الرئاسة متعت
بعزمك ، فابن الملك بالسيف ..
والقنا
وقدنا الى العلياء ، طال حنيننا
الى القائد المغوار حتى أغشتنا
نذرنا لمجد العرب حر دمائنا
وأنت حري أن توفي نذرنا

* *

ولقد يخطر لك أن تسألني عن رأيي اليوم ، في موقفي ذاك ، أراض أنا عنه ام نادم عليه؟ ؟ وأجيبك بمنتهى الصراحة والصدق ، أنني غير نادم اطلاقا ، لا لأنه كان الصواب محضا ،ومن لأبناء آدم بالعصمة من الخطأ ـ ولكن لأنه كان نابعا من قناعتي الشخصية وفكري المستقل ،قبل ان تعلق نار (محرقة الحكم) بأذيال الزعيم ، فتنسيه أفضل سجايا العرب وتجعله يسلم رئيس الحزب القومي السوري (أنطون سعادة) الى الحكومة اللبنانية وهو موقن أنها ستقتله ، وما كنت على وفاق مع أنطون سعادة وحزبه ، ولكني كنت أنكر الغدر ، أنى كان مصدره وايا كان ضحيته فالرجل كان يعيش آمنا في

سورية ، أي ـ هو في جوارها ، وكان الاحجى برئيس الدولة السورية ان يدرس اليه من ينذره بالغضط الذي يلقاه من حكومة لبنان ، فيما زعموا ، وينصحه بالخروج من سوريا ـ بالهرب ـ ليمهد له سبيل العذر امام حكومة لبنان بأنه خرج من نطاق سلطته ، ثم هو وشأنه مع تلك الحكومة .

ولكن يبدو انه كان للقدر حكم آخر ، كان في لوحه المحفوظ ان يبوء بأنطون سعادة ، كل من حسني الزعيم ورئيس حكومته محسن البرازي ورئيس حكومة لبنان رياض الصلح ، الاولان بعد خمسة اسابيع من الغدر به ، اذ اعدمهما في المزة ،بعض ضباط الجيش ، المنتمين الى حزبه او المتعاطفين واياه ، والثالث بعد ثلاث سنوات من اعدامه ، اذ اغتاله ثلاثة من اعضاء الحزب في (عمان)عاصمة الاردن

وتقبل الخمسين حوامل حوافل ، وفي أوائلها أنظم مسرحيتي (صرخة الثأر) و (جيش الاطفال) وفي أواسطها تثور الجزائر وتنشب معركة القناة وفي تواليها تقوم الجمهورية العربية المتحدة ـ شباط ١٩٥٨ ـ تليها فتنة تمديد الرئاسة في لبنان ـ ايار ١٩٥٨ ـ تتبعها انتفاضة العراق ـ تموز ١٩٥٨ ويتخلل هذه الاحداث حفلات ومهرجانات قومية محلية ويكون لي في هذا كله قصائد تنشد في الحفلات وتنشر في الصحف ، ومسرحيات تكتب لطالبات مدرسة البنات التي كنت أديرها ، يمثلنها في الحفلات العامة وفي حصص النشاط المدرسي .

ولقد يطول الحديث ـ فوق ما طال ـ لو اني حاولت ان اروي لك نماذج مما قلته في هذه الفترة ، ولهذا فاني سأكتفي بنماذج من قصيدة (تحية الجمهورية العربية المتحدة) التي نشرت بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٥٨ وكنت أتمنى لو رويتها كاملة ، ولكنها طويلة جدا ، وسأكتفي بأبيات منها تدل عليها جملة قلت في مستهلها :

دنيا من المجد، أم هاتيك دنيانا
سيان ،هلكانت الامجاد لولانا ؟
سل الزمان وليدا عن مفاخرنا
وانظر الى المجد مزهو بنا الآنا

وأمضي معددا مآثر العرب يوم كانت رايتهم تظلل الدنيا ، حتى أختم المقطع :

آمنت بالله ، انا خير من صنعت
يداه ، جل كتاب الله تبيانا

وأبدأ المقطع الثاني :

لايخدعنك دهر قد تجهمنا
فالسحب تحجب قرص الشمس أحيانا
ها نحن جئنا ، كما شاء الاباء
لنا كالبحر مدا ، او البركان .. نيرانا
نرد ظلم أخي بغي تهضمنا
ملاوة ومشى بالكيد أزمانا

وأمضي فأصف صراعنا مع الاستعمار الى أن أقول :

لانحن نمنا على ضيم يراد بنا
ولا الاثيم ارتوى كيدا وعدوانا
حتى ضربنا على يافوخه بيد
صماء تحسبها صخرا وصوانا
أشرف على (بور سعيد) تلفه مزق
فيها ، وتلف العلى تزهو بلقيانا
وأرقب لها أخوات في جزائرنا
وفي عمان وبغداد وعمانا

وفي المقطعين التاليين أصف فرحة التقاء الاخوة وجمع الشمل ، وثم انتقل الى الحديث عن المهام التي القاها القدر على دولتنا الموحدة وأولها تحرير فلسطين ، فأبدأ المقطع بالبيتين التاليين :

يا مصر اي بناء فوق كاهلنا
ألقى به القدر المحتوم جذلانا
هيا ،على اسم العلى ،والله يكلؤنا
نقم له فوق هام الشمس أركانا

الى أن أقول :

فليت عين (صلاح الدين) تشهدنا
ونحن خلف (جمال الدين)فرسانا
نطهر (المهد) من رجس يدنسه
ونغسل العار عن اعطاف (مسرانا)
وننزل النازحين الدار، ضاحكة
بهم ، فقد سئمت بوما وغربانا

ثم أنتقل الى خطاب (جمال) بمقطع

طويل ، أكتفي بايراد اربعة ابيات منه :

ايه جمال ،وكانت فلكنا غرضا
للريح تعصف حول الفلك جنانا
والموج ، مثل الرواسي الشم يصدمها فما تماسك مجدافا وسكانا
حتى طلعت عليها كالصباح هدى
وأرسلتك يد الرحمن ربانا
كأنما بيعة الرضوان قد بعثت
لما شددنا على يمناك آيمانا

وآتابع خطاب جمال في مقطع تال :

أشرق على العرب في شتى ديارهم
واجمع على العز والامجاد اخوانا
لايحزننك من أعيا ، فرب أخي
شكيمة لن يطيق القيد أزمانا
وارق السماء بنا ، فالكون يرقبنا
ويشرئب لما تحبوه كفانا
فيض من الهدى والنعمى تكنفه
منا قديما ، ويرجو مثله الآنا
وأنت صاحبه ، لقيت تالده
عن خالد والمثنى وابن مروانا
ونحن جندك ، ان يدع السلام نكن
نورا وان تدعنا الهيجاء نيرانا
وغرسة أنت تسقيها وتكلوها
ستستحيل ، بعون الله ، بستانا

وأقف أتصفح التاريخ العربي قديمه والحديث - في حدود ما اعرف من هذا التاريخ - فلا أجد فيه سابقة لما أتاه رئيس الجمهورية السورية (شكري القوتلي) من ايثار وتضحية بالتخلي عن الرئاسة والزعامة لوجه الوطن والامة العربية ، فأختم القصيدة بمقطع طويل خاص به ، اليك بعض أبياته :

شكري ، أأمسح أقلامي وما شرفت
بلثم كفيك اجلالا وعرفانا
رضت القريض ، لعل القول يسعفني
فعز مجدك ان أوفيه تبيانا
سفر الخلود ، على مافيه من عظم
أضحى اسم (شكري) له رمزا وعنوانا
تركت كل بعيد الهم منبهرا
لما تعاليت عن اهواء دنيانا
ورحت تملي علي التاريخ صفحته الغراء تشرق ايثارا وايمانا
كأنما ملك في بردتيك ثوى
روحا ،ولم يحتو البردان انسانا
فاعذر ، فداوك نفسي ان عييت فقد
أوتيت شعرا ،وما ألهمت فرقانا

ومنذ قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، أقف شعري كله عليها وعلى قائدها جمال ، فما يمر حادث ولاتعرض مناسبة الا وجدت فيها ما يربطها بالوحدة وبجمال ، وسأروي لك نتفا من قصيدتين فقط كنموذج لما أقول :

في ايلول من عام ١٩٦٠ اقيم في دمشق مهرجان للشعر حول ذكرى الشاعر (ابو تمام) شاركت فيه بقصيدة كان من خواتيمها الابيات التالية :

أخا الخلود ، هلم الكأس صافية
واشرب على الفرحة الكبرى ولا ترب
فالدهر كفر عما أفسدت يده
والمجد بدلنا عتبى من العتب
فتح الفتوح الذي لم يقض مدحته
(نظم من الشعر او نثر من الخطب)
بذته أيامنا الغر التي كسبت
بالرأي ، أو كتبت بالقانىء السرب
حتى كأن لنا (بدرا) محجلة
في كل يوم ،وفتحا معلم العذب
تدبير أروع لم تكهم أسنته
في مورد الرأي او في مشرع القضب
رمى به الله حصن البغي فانكفأت
راياته ،وتسامت راية العرب
ولم شمل الاباة الصيد فاندفعوا
وراءه أسدا مرهوبة الغضب
في دولة تبتني الامجاد طارفة
طودا منيفا على طود من الحسب
ردت على العرب أبراد العلا جددا
وبدلتهم صليب الريش بالزغب
وبشرتهم بأن الملتقى أمم
فكلهم بين وثاب وملتهب

ايه جمال ،ومافي العرب غير فتى
عضب اليراعة او ماضي الشباة أبي
أو ماهر الدهر خلاق العجائب ، أو
صلب المعاجم خراج من الكرب
جنود زحفك للعلياء ،فارم بهم
ذوابة الشمس في عليائها تصب

عفوا فتى الشعر ، ان ند اليراع فما
احرى العلى ان تهيج القول للطرب
ما الفتح ان تملك الامصار مقتدرا ،
الفتح.. ان تفجر النعمى من السغب
قد هزك النصر والرايات شامخة
وهزني غصبة من ماضغ النوب
والشعر خفق فؤاد هزه طرب
فليت شعري ، هل أفصحت عن طربي؟

وفي أيار عام ١٩٦١ يقام في حمص مهرجان لتخليد ذكرى شهداء السادس من أيار ١٩١٦ ، من أبنائها ،عبد الحميد الزهراوي ، ورفيق رزق سلوم ، وعزت الجندي ، أشارك فيه بقصيدة أختمها بالابيات التالية :

قم نلثم الجبهات أشرق فجرنا
منها ، فبدد ظلمة الاعصار
ذاك الدم المكبوت في أعناقها
أضحى لواء معلما للثار
قسما بنجميه وبالشفق الذي
يعلوهما ، شفق الدم الموار
لا قرت الاسياف في أغمادها
حتى تراه واحدا في الدار
ولنحن أوفى موثقا ، وجمالنا
أهدى وأسمى من يقول بدار
ايه جمال ، وأنت جامع شملنا
والمرتجى لكرامة وفخار
بك أدرك الشهداء فجر مناهمو
وتطلعوا نحو الضحى الخطار
أقدم ،فديت ،بنا فتلك نفوسنا
تغلي طموحا والسيوف عواري
ترضي العلا ، ونصوغ خير تحية
تهدي الى شهدائنا الابرار..

وتكون هذه القصيدة اخر عهدي بالشعر ، ففي الثامن والعشرين من أيلول تلك السنة ١٩٦١ ، تقع فاجعة العرب العظمى ، بانفصام عرى الجمهورية العربية المتحدة ، ويحدث حوار بيني وبين واحد كان معدودا من اقطاب الحركة الادبية في سوريا حول موقف الادباء والشعراء من قضايا وطنهم ، استشف منه ان هناك من يعتبر الادب (مطية) ، وكان ايماني به انه (قضية) فتعزف نفسي عنه ، وانقطع عن كل نشاط ادبي ، او وطني او اجتماعي، حتى العام ١٩٧٤ ، اذ تدعوني مناسبة الى كتابة ذكرياتي.. التي بدأت حديثنا هذا بسؤالك عن قيمتها التاريخية ومنذئذ وأنا أعيش في عالم الذكريات ، ياله من عالم حافل ، فيه مدارج عبث ومقاصف لهو ، وفيه ميادين كفاح ، ومتاحف تجارب ، وفيه منابر عظات ومحاريب خشوع ، وقد تتراءى للشيخ العجوز مجتمعة في اغماضة عين ولمسة جبين فترد الى قلبه نبض الشباب في عنفوانه ، ناهيك بهذا معزيا له عن كل ماغعلته السنون الطوال بأوصاله والاعصاب .

انتهى

قال جان جاك :

* نشكر الطبيعة على ما وهبتنا من نزعة فردية أدت الى اذكاء روح الغيرة والحسدو والزهو والطموح والى رغبة التملك والقوةوالسلطة إن الانسان يحب ان يعيش في صفاء ووئام ووفاق ولكن الطبيعة أدرى منه بما يعود بالنفع على البشر ، فالطبيعة تريد التنافر والنزاع والخصام الذي يجر الانسان على حفز قواه من جديد والتطور بمواهبه وامكانياته الطبيعية تطورا متواصلا "

الفتيات كأنهن طيور بيض

قصة مترجمة

وليام بانكير

ترجمة : قاسم الحاج قاسم

فيما أجلس في مقعدي ، هنا في القطار ، ترجع بي ذاكرتي الى بداية متاعبي ، وأفكر في السبب الذي قدموه ذريعة لطردي من سلك شرطة لندن ، قالوا بأنني متقلب الرأي غير أن الامر يختلف عن ذلك ، لأنني عندما رأيت أحد زملائي من الموظفين يقبض رشوة من صاحب محل لبيع الكتب والمجلات الاباحية في سوهو ، تكلمت ، وعندما لم يرعو رفعت شكوى رسمية ، وبعدئذ ارسلت برسالة الى صحيفة اسبوعية ..

صحيح أنه مؤخرا ، وبعد مرور بضع سنوات على الحادث ، حكم بالسجن على عدة أشخاص من ذوي الاهمية ، الا ان النتيجة المباشرة لحملتي كانتاقالتي .

تظاهرت أول الامر بالسعادة ، حيث أني ما عدت أتلقى لكمات من الشباب الشغوفين جدا بكرة القدم ، والذين يجدون متعة في لكم أصحاب البذلات الزرق، كما أني ما عدت أحشر نفسي بين المتعصبين وبين الشيوعيين الذين كانوا يقيمون استعراضاتهم في نفس الشارع ، وهكذا تحولت لأعمل بصفة رجل أمن في نادي فيير فيلد ، وهو أحد أندية القمار بجانب ساحة كروس فيفور ، اقتصرت مهمتي على مراقبة رواد النادي الدهاة ، وقد سعدت ادارة النادي من قدرتي على مقاومة الرشوة ، أما مديرو الالعاب فقد ثارت ثائرتهم ، وهذا ما دعا بعضهم لاعداد حفلة مدهشة خاصة بي عندما اوقفت سيارتي في الزقاق ، لقد قاموا بكسر أحد فكي مع ذراعي الايسر، أما وجهي فما يزال مشوها في أسفله .

في تلك الاثناء قالت لورا بأنني مجنون وأضافت " لعلك مجنون فعلا ، لقد وضعت العراقيل دونما فائدة مما جعلهم يصرفوك من سلك الشرطة ، وها أنت ذا تعظ المقامرين ، فماذا جنيت ؟ .. انظر الى نفسك ، فأنت بالكاد تقدر على تحريك فكيك ، ولسوف تقضي عدة أسابيع ، تتناول فيها شرابك من ذاك الانبوب الزجاجي ، وكل ما فعلوه معك ليس الا عبثا بسيطا ، انهم يسرقون بعض الجنيهات من ذوي الثراء ، وادارة النادي تسمح بذلك .

وبعد فترة وجيزة من هذا الحديث تركتني ومضت لشأنها ، ولسوف أعترف اولا بأني بقيت وحيدا ، بعد أن تركت فيير فيلد

عملت لفترة قصيرة مع شركة سكيوري تيم المتخصصة في تأمين رجال الحراسة ، وبدا وكأنني عدت الى سلك الشرطة لولا أن بذلتي زرقاء شاحبة اللون ، .. وان المرتب أكبر ، الشباب في تلك المنطقة كانوا عصابات وغير مهذبين . يتوقفون على الرصيف خلال تنقلاتهم ، يؤرجحون مسدساتهم المتدلية ، وقد ألقوا بثقلهم على رجل دون الاخرى ، ويضعون دائما نظارات شمسية من النوع الرخيص ، ولم أجد لواحد منهم قصة شعر كما ينبغي ، كما أني لم أستطع أن أتكيف مع الموقف بالسرعة اللازمة .

وهكذا بعد فترة طويلة من الاعتماد على اعانة الحكومة ، وضعت حدا لاقامتي في قرية روتينجدين الساحلية ، هذه القرية التي تتوضع في منطقة منخفضة الى الشرق من رأس اليابسة المطل على البحر ، والتي تبعد ثلاثة أميال عن منتجع برايتون الساحلي ، كانت شوارعها المرصوفة قد شهدت عملية ترميم متقنة ، فيما كانت جدرانها القرميدية ، وحجارتها القديمة قادرة على الصمود لعدة قرون أخرى ، اما مداخلها المدهونة فكانت تلمع مثل السيارات الجديدة .

لقد اعتاد الشاعر رديارد كيلنغ أن يعيش هنا ، وكان قد كتب ذات مرة انه بامكان المرء ان يكون رجلا اذا استطاع ان يحتفظ برأسه حين يفقد جميع من حوله رؤوسهم . ولكن ما هي حكاية تلك الفتيات المسكينات اللواتي اختفين؟ واللائي لم يسمح لهن بالاحتفاظ برؤوسهن، يقول التقرير ان عددهن ثلاثة رغم ان ما عددته كان أربع جماجم ، ولكني نجحت بالاحتفاظ برأسي .

أما في الوقت الحاضر ، فأنا أعمل حارسا ليليا لمتحف البلدة ومساعدا فيه ، وقد حصلت على هذا العمل بمساعدة السيرجنت باري هنلي ، وهو زميل قديم من لندن ، استقال من عمله ويعيش حاليا في برايتون ، كنت قد التقيته بعدما نفذت نقودي وكبريائي ، فحدثني عن العمل ، وبما أنني الآن مرتبط بالعمل فلا ألقاه الا بين الفينة والاخرى لنتناول الشراب معا .

في لقائنا الاول ، منذ سنتين ، سألته : أما حننت الى لندن ؟
كنا حينذاك جالسين في الغرفة العليا ، تحف بنا نوافذها من الجانبين، وامامي امتدت القناة الانكليزية الرمادية العريضة ، جلس باري على طرف الاريكة وقد بدا نحيلا ومتسما بالموضوعية ، وذا شعر ناصل لا يمكن ان يتحول الى أشيب ، سألته سؤالا آخر : ألم ترغب في الرجوع الى ساحة بيكاديللي لقضاء احدى أمسيات الصيف ؟
أجابني : فقط عندما أتذكر تلك الفتيات ومن ثم تغيب عن ذهني يا صديقي ، ان تلك الفتيات الاسيويات يجبرن المرء على البكاء ..

ودفعت زوجته الباب ودخلت، لعلها كانت في الممر تتنصت الى حديثنا ، اسمها بيلفا ، وتتمع عيناها بوميض فولاذي ينسجم مع حدة صوتها ، ووقفت طويلا فقط لكي تطلب من زوجها الا ينسى أعمال المنزل التي ينبغي عليه أن يقوم بها ، أثناء غيابها ، أجابها بسلسلة من اشارات الموافقة برأسه ،وقال : يا حبي القديم ، وبعد انصرافها كف عن تحريك رأسه وابتسم نصف ابتسامة .

وتناولنا كأسا من الجعة ، وعند الساعة الرابعة أحضر باري منظارا ثنائيا من خزانة بجانب الاريكة ، بدا المنظار أسود اللون ضخما ومما يستخدمه رجال الدولة ، ومن النوع الذي يظهر في الافلام وقد شده الى وجهه أحد قادة الميدان الالمان .
قال لي : تعال الى هنا ، وتحول الى النافذة الجانبية ، وأضاف : اني لأسمع أصوات الفتيات وهن يلعبن ، تبعته ونظرت من فوق كتفه الى حيث كان يحدق في المنظار ويعدل في أبعاد العدسات ، وبعيدا في الارض الممتدة استطعت ان أتبين ملعبا تتحرك فيه شخوص ترتدي ثيابا بيضاء اللون ، وقام من خلفها بناء ضخم مسقوف بألواح الاردواز ، قال باري " اننا هناك "ناولني المنظار وقال : " متع عينيك " وحين نظرت وجدت مجموعة من الفتيات يرتدين بناطيل وقمصانا بيضاء ، كن يلعبن الهوكي، واستطعت ان أتبين تعابير الجد في وجوههن ، فيما كن يمسكن الصولجانات المعقوفة ، وأثارت اعجابي أرجلهن التي اكتنزت بفعل جوارب الصوف ، غير

آن ما أثر في أكثر كان الجمال العذب الذي يكسو وجوههن النضرة ، وتطاير شعرهن المنطلق .

ومن ورائي همس لي صديقي العجوز: انهن فتيات ساملي كوليج ، وأعادني صوته الاجش الى ليالي الحراسة في بيكاديللي ، ليس لهن أناقة فتيات منطقة رودين في نهاية الطريق العام ، واعتقد أيضا انهن لا يتسببن في تكاليف كثيرة مثل أولئك " .

تمليت فيهن طويلا لكي أبدي له اعجابي ، ولما أعدت المنظار اليه عادت الشخوص من جديد لتبدو سربا من الطيور البيض في حقل أخضر ، أما باري فقد تفحصهن كما يفعل الخبير ، ولم يوقظه عن ذلك سوى سماعه لصوت الباب الخارجي وقد فتح ، وأغلق ، وهذا ما اذن بعودة بيلفا .

ولما صعدت الدرج تساءلت وقد بدا التذمر عليها " أما فعلت شيئا مما طلبته منك ؟ " وكأنما شعرت أن من واجبها أن تبرر الموقف فأوضحت لي ، " لقد اعتدنا ، على وجود من يساعدنا ، ولكن دون جدوى ، اذ ليس بوسعي ان أدع امرأة تشاطره سكن المنزل "

بعد هذا اقتصدت في زياراتي لأسرة هنلي ، وعوضا عن ذلك كنت أرى باري وحده بين الفينة والاخرى في احدى الخمارات في برايتون ، ذلك لأن الطريقة التي كانت فيها بيلفا قادرة على توجيه الاوامر لباري دون استياء منه أزعجتني فأنا من خلال عملي معه أعرف أنه لايسلم قياده لأحد ، وظهر لي وكأن سيطرتها عليه من نوع خفي .

أما الحانة الاخرى التي اعتدت عليها فتقع في شارع جانبي في روتينجين وأعتقد أني سأتوجه اليها بعد انتهاء رحلتي هذه ، وبعد أن أنتوم بما أنا في سبيلي الى فعله ، هناك يعرفني جميع الناس ، ويلقون الي بالتحية ، أما من سأمضي معظم حديث يومي معه فهو زميل قديم اسمه جرينستيد ، وهو الذي حدثني عن الفتيات اللاتي اختفين ، حينذاك ما كنت أعيره انتباهي كاملا ، وقلت له : " معذرة " ماذا قلت ؟

" كنت اتحدث عن الفتيات اللاتي اختفين من ساحلي كوليج ، ثلاث فتيات اسيويات من سريلانكا ، هز رأسه وتابع " أعتقد انه ما من أحد يفكر فيهن عدا عائلاتهن كيف اختفين ؟

– لو عرفنا ذلك لعلمنا ما حدث لهن ، لقد كن جميلات ، واني لأذكر صورهن في الجرائد ، أول الامر ظن الناس أنهن هربن مع بعض الرجال ، ولكن لو ان الامر كذلك ، لكن قد ظهرن من قبل .

– وهل من الممكن ان تختفي ثلاث فتيات بسهولة ؟ انه من المتعذر ان يختفي شخص واحد فكيف بثلاثة ؟ وان كن قد توفين فهذا يعني ثلاثة أجساد .

فقال جرينستيد : انه كوكب كبير ويستطيع ان يمتص كثيرا من الاجساد ، ألديك فكرة عن عدد الجرائم الخافية التي تقع كل عام في أمة تعد ٥٥مليونا من الناس ؟"

" ثلاث فتيات اختفين من على وجه الارض ، هذا امر يتعذر تصديقه .."

" انه كذلك فعلا " اما كلمته الاخيرة عن الموضوع فكانت مقنعة في اعتقادي لو أنهن انكليزيات لاستمر البحث عنهن فترة أطول " ..

ومضت ستة أشهر ، كنت خلالها انفض الغبار عن محتويات المعرض وأسكب السائل الملمع على أرضية الحجرات ، أما في الليل فكنت آوي الى فراشي وأتخيل نفسي بطلا في مواقف أستطيع التحكم فيها .

وأحيانا أتذكر اللحظات الممتعة التي قضيتها برفقة لورا ، وأعذب نفسي بالتساؤل عن مكانها ، بل اني ذات مرة أحسست بنفسي في القبر ، فبدأت بالحركة والصراخ حتى أزحت الاغطية عن رأسي .

عندما سافر باري وبيلفا الى مدينة يورك لمدة شهر بغية زيارة أهلها قبل اشتداد الموسم السياحي ، كنت في وداعهما في محطة برايتون ، اذ داك ذهبت بيلفا تشتري مجلة فبقيت مع هاري في الطابور في المنصة ٠٨ ناولني مفتاح منزله وقال : خذه ، ولعلك تؤدي خدمة لي .

أجبته : حسنا ، سأتفقده بين الحين والاخر .

" استعمل المنظار أيضا ، خذ حريتك ، عندما تكون وحدك ترى الفتيات بشكل أفضل .

اذ ذاك تذكرت قصة جرينستيد ..
وشعرت بغصة مؤلمة ،لأني كنت على علم بتصرفات باري المشينة وعن ولعه بفتيات ساملي كوليبج، و كذلكعن اختفاء ثلاث منهن ، ولدى عودة بيلفا وضعت المفتاح في جيبي ، كانت تحمل مجلة تعج بالصور.

أشارت الى احد العناوين وقالت : " انظر الى هذه البذاءة التي يطبعونها ابتسم باري بسخرية وقال " اقلبي الى الصفحة الثالثة حيث الصور النسائية الفاتنة ..

ولمتسنح لي الفرصة لاتفقد منزل هنلي الا بعد مرور اكثر من اسبوع دخلت المنزل وامضيت بضع دقائق في الغرف الكئيبة ، فتحت نافذة هنا وأخرى هناك ، وأخيرا جاءدور الغرفة العليا ، ومن هناك امتد بصري نحو الكلية فشعرت بالراحة لأن الملعب خال .

غير أن المشهد كان مختلفا عن ذي قبل ، فقد تحولت المنطقة الممتدة بين المنزل وبين ساحة الملعب الى خطوط طولانية ذات لون بني ، وكان ثمة رجل يدفع محراثا يجره حصان قوي ، اما المنظر الاكثر متعة فكان موكب طيور البحر ذات اللون الابيض وهي تقتفي أثر الفلاح ، كانت طيور النورس تمشي على نسق في ثلم الفلاحة الجديد وتلتقط الديدان التي بعثتها شفرة المحراث الفولاذية من بين التربة .

أثارني الفضول ، فأغلقت النوافذ وغادرت المنزل من الباب الخلفي ومضيت الى الرجل الفلاح لأتجاذب معه أطراف الحديث ، كان يحرر الحصان من محراثه قلت له " لعله عمل مضن ؟ فهز رأسه وقال : اظنني سأدع ما بقي الي ما بعد موعد اغلاق الحانة ، عدت أراقب النوارس وقلت : من الممتع مراقبة الطيور وهي تأكل كما ترى ، فقال " انها ذكية وتعرف مافي الارض أكثر مما نعرف وفيما هو يجر الحصان بعيدا سألني " هل أنت من أصدقاء السيد هنلي ؟ " نعم " انه رجل لطيف يبذل كثيرا من النقود ليفاجىء زوجته ويسرها "..
"ماذا ؟
" لقد أخبرتي انها من عائلة فلاحية ، وأنها اعتادت ان تشرف بنفسها على حراثة أرضها حتى الشمال ، وعند عودتها من العطلة ستجد . جميع هذه القطعة وقد أصبحت جاهزة للزراعة .

راقبت الرجل وهو يتحرك الى ظل احدى أشجار الدرداء في احدى زوايا الحقل ، فرأيته وقد عمد الى تقييد الحصان ،ثم وضع له كيس الطعام في رقبته ، لوح لي بيده وخرج من فرجة في السياج .

عدت من جديد لأتفحص الطيور على مهل ، راقبتها وهي تطير في الفضاء وتنعطف باتجاه البحر، ودفعني الفضول لمعرفة توع الطعام الذي تلتقطه . فمشيت بمحاذاة الشق الجديد الذي احدثه المحراث ، لم يكن ثمة ديدان ، فلا بد أنها التقطت جميعا او اخذت طريقها الى مأمن بين التربة الرطبة .

وأحسست بنعومة التربة المحروثة تحت قدمي . واضطررت ان امشي في .مسار غير منتظم ، في أكثر من اتجاه لأن السير فوق خطوط الحراثة مزعج .
وفجأة اصطدم حذائي بما ظهر وكأنه حجر ضخم أفقدني توازني ، حدقت لأتأكد أهو حجر أم خلافه ..؟
انحنيت ، وأخرجته من التربة ، لم يكن حجرا بل جمجمة بشرية ، ابتعدت بضع ياردات عن خط الحراثة ، وعما جاوره ، ورحت أبحث ، ومع الوقت وجدت ثلاث جماجم وبذلك تأكدت من صحة شكوكي لكنني لم أدر ما أفعل عندما عثرت على جمجمة رابعة ، غير أن ما بدا واضحا هو ان اخطار الشرطة امر واجب ، ولكن ما العمل اذا كان القاتل هو باري هنلي ؟
واذا ذاك ادركت نوع العلاقة بينه وبين زوجته ، من المؤكد أنها على علمبفعلته فاستطاعت ان تفرض هيمنتها عليه اذ كتمت سره .

ووقعت في موقف حرج ، فقد توجب علي ان أتقدم وأدلي بشهادتي ، ولكن كيف لي أن أساعد بيلفا على سجن واحد من اصدقائي القليلين في هذا العالم سجنا مؤبدا ؟ وقررت ان انتظر حتى أتحدث مع باري على الاقل .

ولدى عودته مع زوجته اتصلت به هاتفيا ، والتقيته في حانتنا المعهودة في برايتون ، قال لي وقد ادرك ان شيئا ما قد حدث ، ما الحكاية ؟ ايها

العجوز ؟ اني أرى الرجل الامين في داخلك يحاول أن ينطلق ، وحك ذراعه الايمن وتابع يقول : ينبغي القول بان الموضوع مفزع "

قصصت عليه الحكاية بكاملها ، خطوط الحراثة ، الطيور ، الجماجم وشكوكي ، بقي على هدوءه بشكل لافت للنظر اذن فهنا خبأت الجثث ، لم أكن على يقين بما فعلت بهن ، فأدمنت على الشراب ، ثم قهقه وقال : وهذا ما يفسر موقفها اليوم لدى رؤيتها للحقل وقد تمت حراثته ، أول شيء قالته هو أنها تريد أن تقوم بكل أعمال لزراعة بنفسها .

قلت له وأنا أكاد لا أصدق : هل تعني ان بيلفا ، هز كتفيه بلا مبالاة وقال : " اجل ولكن سلوكي ايضا كان سيئا في تلك الايام ، لقد قمت بمراقبة الفتيات رغم وجودها في المنزل كما أخبرتها عن اللواتي أولعت بهن ، وأعتقد ان في امكانك ان تتهمني بالتسبب بقتلهن بطريقة أو بأخرى ، اما بيلفا فهي التي قتلتهن . لقد استدرجتهن الى هنا ووضعت لهن سما في الشاي .
فقلت ثلاث من فتيات المدارس اختفين ، ولكني وجدت اربع جماجم ، وظهرت في عينيه امارات الكآبة وقال : أجل ، الفتاة الرابعة كانت تقطن معنا وتساعدها في المنزل ، انها احدى صديقاتي من لندن ، وهي في غاية الطيبة كما تصفها زوجتي الحنون " .

ولذنا بالصمت لبضع دقائق تاركين جو الحانة المفعم بالحيوية يتردد حولنا ، قام احد الصبية برمي تسع وستين سهما متواليا ، كما شرد الى داخل الحانة كلب تائه من نوع كولي ، وما لبث ان خرج عائدا الى الشارع .

قلت له بهدوء : باري ، كنت رجل أمن وكذلك أنا ، وها أنت تتكتم هنا على دليل جرمي ، فلم لا تذهب الى الشرطة ؟
" الامر ليس بهذه السهولة "
" لا ، ليس كذلك ، انه في غاية البساطة ، فأنت لاتحبها .
فقال " ان الامر أسوأ من ذلك ، لا تنس نقودها التي تودعها في حساب خاص بها ، ولا أظنك تعتقد اني اشتريت بيتي هذا من مرتب شرطي ، أليس كذلك ؟

قلت : الا يمكن ان تعود اليك ثروتها ... ما سجنت بجريمة قتل ؟
فقال باري : لا يا صاحبي ، قد يحكم عليها بالسجن مدى الحياة ، ولكن سيفرج عنها بعد عشر سنوات بسلوك جيد ، ويبقى حسابها بانتظارها حتى تخرج .

واستقر رأيي على ان أتمهل قليلا قبل اخطار البوليس ، وتذكرت لورا وعزمت على معرفة مكانها ومناقشة الموقف عن وضعنا نحن الاثنين ، وعن اسرة هنلي ، وعن الفتيات اللائي فقدن حياتهن ، وعما ينبغي ان افعله حاليا بما أنني وليس صديقي وحده ، أتستر على جريمة فلعل ـ أيها يرشدني الى الطريق السوي . ولذلك سافرت الى لندن وتنقلت من عنوان الى آخر ، اتتبع أثر هاجرتي التي أخذت حظي معها ، وقد كان من الافضل لي لو لم أبحث عنها ، واخيرا اهتديت الى سيدة في نزل في مدينة ساوث كينغستون ، وكانت تعرف مكان لورا .

قالت لي " ليس بوسعي ان اهديك الى مكانها في الوقت الحاضر ، غير أن بامكاني أن أخبرك الى أين توجهت حينذاك ، لقد مضت الى برايتون لتقيم مع رجل أمن متقاعد ، وهو كما اخبرتني احد اصدقاء زوجها السابق وقالت لعلها تجد الرعاية عنده .

اما الان ، فها انذا في قطار العودة الى الساحل الجنوبي ، وانا اراقب المحطات التي تمر بها محطة كلافام ، ويست كوريدون ، جاتويك ـ وقد أدركت انه ينبغي علي ان أحدد ما سأفعله والذي يجب ان يكون بسيطا ، ومن المؤكد أن تصرفي الوحيد هو ان امضي الى رجال الامن ، وادلي بما اعرف ، ولكن يمتلكني الشعور انه ينبغي ان أثأر لها بنفسي .

بقيت ثلاث محطات ، ويصل القطار الى برايتون ، وما يزال ثمة متسع من الوقت لكي أقرر ، ولكن مهما فعلت فسأظل بقية عمري أردد السؤال الذي لن استطيع ان اجد له جوابا ، حقا ، لقد أخذت بيدي أربع جماجم حزينة ، وأمسكتها ، ودفنتها من جديد ، ولكن أيا منها كانت صاحبتها لورا ..؟

دراسة :

محمد المنصور الشقحاء
في مجموعاته القصصية المتفرقة

بقلم : الدكتور . طلعت صبح السيد . مصر .

ليس كل كاتب يمكنه ان يكتب قصة ، فالقصة في الواقع اصعب فنون الادب بناء.. تحتاج الى اسلوب رشيق ، وخيال واسع ودراسة نفسية كبيرة ، وتغلغل في أعماق النفس البشرية ، ومخالطة جميع البيئات والطبقات المختلفة .

ودراستي لفن القصة القصيرة عندمحمد المنصور الشقحاء تقوم اساسا على تتبع قصصه التي نشرها في الصحف والمجلات منذ بدأ ينشر قصصه على الرأي العام ، او تلك التي تضمها مجموعاته القصصية المتعددة ، والتي صدرت المجموعة الاولى منها تحت عنوان " البحث عن ابتسامة " سنة ١٣٩٦ هـ .

وبهذا نستطيع ان نحدد الفترة التي ظهر فيها انتاجه وتبلور ، فهي تبدأ بقصص مجموعته المذكورة ، وتنتهي بقصص مجموعته " الغريب " التي نشرت عام ١٤٠٨ هـ ، لكن ليس معنى ذلك ان الشقحاء بدأ معالجة القصة القصيرة في هذا التاريخ بالضبط، فمن المحتمل أن يكون قد مارسها قبل ذلك ، وقد صرح بأنه كتب القصة في وقت مبكر .

والمتتبع للقصص ، التي ظهرت للكاتب محمد المنصور الشقحاء في مجموعاته القصصية يتضح له وعي الكاتب بفن القصة القصيرة وتقديره لهذا الفن ، وتقف به قراءة هذه القصص الى عدة ملاحظات يقود بعضها بعضا ، وتبين الى اي حد تغيرت النظرة الى هذا الفن :

الملاحظة الاولى :

يبدو منها ايمان الكاتب

بفن القصة القصيرة ، وتضاعف تقديره لهذا الفن ، وبأن مكانتها ملحوظة بين باقي الاجناس الادبية ، وأن كتاب القصة يطلعون الناس على جوانب الحياة الغامضة الخلفية عن أعينهم .

الملاحظة الثانية :

ان القصة القصيرة في نظر الكاتب محمد المنصور الشقحاء تستهدف اول ما تستهدف تصوير الحياة الغامضة لتجلية هذا الغموض ، وفتح مغاليق الاسرار الكامنة وراء الحياة الظاهرة التي يحياها الناس ، وهذا يعني ان القصة كتاب الحياة .

الملاحظة الثالثة :

والكاتب لا يستهدف من وراء تصوير خفايا الحياة سوى الارتقاء بالقراء الى حياة مثلى لايعتورها نقص ، ولا يتسرب اليها خلل او ضعف ، وليس من شك في ان لهذا أثره الكبير من التطور الانساني ، وفي تمهيد السبيل الى المثل الاعلى للحياة ، الامر الذي يكشف صعوبة فن القصة ، وانه ليس من السهل على أي انسان ان يجيده الا اذا تسلح بعدة اسلحة فنية .

الملاحظة الرابعة :

والمتتبع لقصص الكاتب في مجموعاته المختلفة سيجد أنها تساعد على اعطاء صورة متكاملة عن تطور فن القصة القصيرة عنده تبعا للتطور الزمني من ناحية ، ونظرا لعمليات التعديل التي كان يقوم بها عند انتقائه لقصص المجموعات من ناحية اخرى ، وهذا يعني ان التنقيب في مجموعات الشقحاء القصة هو وحده الكفيل بمراقبة المراحل التي مر بها فنه ، فهو يتطور بمرور الزمن ، وتتغير نظرته الى الحياة والناس ، وتتقدم طريقة اختياره لموضوعات قصصه ، واسلوبه الفني ومضمون هذه القصص ودلالتها الاجتماعية والنفسية مما يجعل دراسة المجموعات القصصية عنده امرا دالا على الخطوات التي سارها الكاتب في قصصه حتى بلغ درجة طيبة في الفن .

وهذه النظرة الجديدة الى الفن ، وتناول الكاتب له بحس فني ، انما هي تقدير للكاتب من جانب ، وهي من جانب آخر تجعلني أتذكر موقف النقاد الذين كانوا يفضلون الشعر على الفن القصصي ، حين راحوا يسجلون للفن القصصي دوره الفعال في السمو بالانسانية ، والتطور بها نحو الكمال المنشود ، (راجع : الاتجاهات الحديثة في الادب العربي ، للاستاذ عباس محمود العقاد – الرسالة – ١٢ فبراير ١٩٤٥ ص ١٣٨) .

ونحن اذا تأملنا الفترة التي انصرف فيها الشقحاء لكتابة القصة القصيرة لوجدنا أنها تنحصر في الغالب بعد عام ١٣٩٥ هـ وهو العام الاول لتأسيس نادي الطائف الادبي الذي كان وما يزال اللسان المعبر عن آراء وأفكار واتجاهات الشقحاء وصحبه من كتاب القصة في الطائف ، وعلى هذا فان دراسة القصة القصيرة التي كتبها الشقحاء تعد ضرورية وهامة للغاية لمن يتصدى لموضوع هذا الفن متعقبا مراحل تطوره والخطوات

التي مر بها ، فالشقحاء صاحب خط كبير في كتابة القصة ، وقد كتب في هذا الميدان سبع مجموعات قصصية بدأها في " البحث عن ابتسامة " وختمها ب " الغريب " وهذه المجموعات اثر من الاثار الرئيسية في هذا الفن التي يهتم بها النقاد والدارسون في هذه الايام ، وهي في مجموعها تعتبر معلما من معالم التطور في فن القصة القصيرة التي تتجه نحو الواقعية في كل شيء : في موضوعاتها ، واحداثها ، ورسم شخوصها ، والحوار الذي يدور على افواه هذه الشخوص . (راجع للكاتب : " القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية ص ٨١)

والملفت للنظر ان انشغال الكاتب محمد المنصور الشقحاء بالقضايا الادبية والفكرية التي هو حريص دائما على اثارتها في الاندية الادبية وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، هذا الانشغال لم يؤد به الى ان ينصرف عن كتابة القصة القصيرة ، فقد سيطرت عليه قضية " الاستقلال الفكري " واظهار المقومات الخاصة للشعب السعودي، وللادب السعودي ، وكل ما يتعلق بالبيئة السعودية من فكر وفن وادب وتاريخ ، فعكف على الدفاع عن هذه القضايا ، والدعوة لها، ولم يقف نشاطه عند هذا الحد، بل انه كتب في كثير من القضايا السيكولوجية والفنية ، الامر الذي يعكس سعة اطلاعه وغزارة علمه ، وقوة توثبه وطموحه لخلق جيل جديد مثقف واع .

ويعني هذا من بعض الوجوه ان محمد المنصور الشقحاء يعد من الكتاب الذين لم يحصروا مجهودهم الفني وابداعهم الابتكاري في ميدان محدد ، فهو وان برز في القصة القصيرة يعد متعدد الجوانب وقد لوحظت طاقته الفنية من انواع ادبية متعددة ، الى جانب أنه أسهم في ميدان القصة القصيرة بقصص عبرت عن دعوته وأفكاره ونزعاته ، وتطلعه الى التجديد الذي لا يرفع راية العصيان على المعايير الموروثة لفنون الادب وموضوعاته وأنماطه .

وعلى هذا النحو قضى الشقحاء فترة غير قليلة من شبابه بأنماط جديدة من الادب الحي ، وفي طليعة هذه الانماط كتابة القصة القصيرة على المنهج العصري الذي يصور الشخصيات في استجاباتها للاحداث التي تتعاقب عليها ، وفي كفاحها للحياة التي تحياها ، وكأنى به قد أدرك ضرورة خلق بعض النماذج الذاتية له في هذا الفن . (انظر على سبيل المثال قصته " قالت انها قادمة " وهي ضمن مجموعته القصصية المسماة بهذا الاسم) .

وللشقحاء رأي في القصة القصيرة من حيث هدفها ، والاثر المطلوب منها ، فهو يعتبرها من بين الفنون الجميلة ، كالتصوير والشعر وما الى ذلك ، وان كان يفرق بينها وبين الشعر ، اذ يرى ان القصة فن موضوعي ، وهذا هو الفارق الوحيد الذي يفرقها عن بعض الفنون التي تعبر عن ذاتية أصحابها ، وتصدر تنفيسا عن أحاسيسهم وخلجات نفوسهم الخاصة ، ولكنها كغيرها من الفنون الجميلة يبتغى من ورائها التأثير في

النفس وتتحدد قيمة هذه الفنون - بما فيها الشعر والقصة - بالقياس الى هذا التأثير او عدمه .

ولكن يحدث الشقحاء هذا الاثر النفسي نراه يستمد موضوعاته ويرسم شخوصه ، ويدير حوارهم بطريقة موضوعية ، ملتزما في ذلك كله الواقع الحي الذي يحيط بعمله الفني ، فهو يضع في اعتباره انه يكتب للحياة ، ولكي يؤثر في الناس كان التزامه بالواقع الذي يعيشه أجدر من تمسكه بالخيال والوهم ، ولذلك تلعب شخصيات قصصه دورا مهما في ابراز البعد الاجتماعي ، وكثيرا ما يصور عن طريق شخصياته الازمة التي يحياها انسان العصر الحديث ، تلك الازمة التي تنسج خيوطها وقائع الحياة نتيجة لما أصاب الواقع الانساني من صراع وقلق (انظر رسائل اقصوصته " لعبة الايام " ص ٨٧ من مجموعته القصصية " قالت انها قادمة) .

وقد قادته هذه الدعوة إلى ايثار اسلوب التساؤلات التي قد يشفعها بالاجابة ، وقد يتركها دون اجابة (راجع مجموعته القصصية " انتظار الرحلة الملغاة " كما أنها جعلت حديث الشخصية عنده يتسم بالوضوح والدقة في التعبير وهذا يعني أنه لا يميل كغيره الى تكلف صور أو أساليب او عبارات رمزية قد تعكر على القارىء صفو القراءة من جهة ، وتبعثه الى عوالم يتعامل فيها بالرموز والتأويل أكثر مما يتعامل فيها بالمنطق والذوق .

وتسري النغمة الاجتماعية في قصص كثيرة من قصص المجموعات ، فقضية الزواج غير المتكافىء وتسلط الزوج على الزوجة ، وغير ذلك من القضايا الاجتماعية التي كانت متفشية في المجتمع ،وضاربة جذورها في أعماقه وزواياه تحتل مكانا كبيرا من مجموعات الشقحاء القصصية .. ويعني اختياره لمثل هذه الموضوعات والاحداث التي تجري في مجتمعه انه مؤمن بالمجتمع وبقضاياه ، وبالانسان العادي في هذا المجتمع وبمشكلاته المعاصرة المعاشة ، الامر الذي يؤكد ما ذكرناه سابقا من ان قصص الشقحاء تأتي استجابة تلقائية للواقع الذي يعيشه .

ففي قصته " الضياع " (احدى قصص مجموعته " انتظار الرحلة الملغاة ") يبدو شغف الكاتب بتصوير هذه المواقف ومايترتب عليها ، والكاتب بدوره يلتقط اللحظة بعناية من الواقع ، ويظل يستقصي اللحظات الشعورية والنفسية ليرسخ الانطباع الذي يريد ، ويهتم اهتماما كبيرا بخلق الشخصية الفنية ، ويرفض الصورة السلفية التي لا تشارك في الفكر والتي تنظر الى القضايا الاجتماعية من وجهة نظر تقليدية جامدة بطريقة تخنق التجربة الفنية ، وتفقدها منطقيتها (انظر مقال " الغريب بين الهاجس والتقنية" البعث ع ٧٦٨٣ - الاثنين ٨٨/٦/١٣

ولننظر الى صورة اجتماعية اخرى : " هل ترغب في الزواج ..؟ أجل .. وأولادك وزوجتك التي عانت معك ؟ سوف أوفر لها كل ماترغب ،

يعني بعد أن أصبحت ذا ثروة لم يعد لديك اهتمام بمشاعر الاخرين، (انتظار الرحلة الملغاة ص ٤٨) فالكاتب هنا يصل الى (سمة فنية) تسم القصة بالحيوية والحركة ، والشخصيات بالنمو والمنطقية من التصرف داخل القصة وذلك ناجم من كون القصة محصورة ، في ثلاث شخصيات هي (الرجل ، وموسى ، وفهد) يضاف الى ذلك ان كل شخصية من هذه الشخصيات كانت تلتزم من حركتها حدود تكوينها الفكري والاجتماعي ، ولم تكن لتنطق برأي المؤلف وتجسم رأيه في قضية الطلاق والزواج ..

كذلك يعبر الكاتب عن احساسه بسلبيات الواقع ، فيقدم لنا قضية تعدد الزوجات ، وتتحرك صورة هذه القضية عند الكاتب تحركا عاطفيا حزينا يفقد البطل في غالب الاحوال القدرة على مواصلة رحلته وسط مجتمع أصبحت الحياة فيه شبه مستحيلة (انظر قصته " انتماء آخر لمرحلة متقدمة " وهي ضمن مجموعته القصصية " قالت انها قادمة ") ولعل هذا هو السبب الذي دفع الكاتب الى أن يأتي لنا بصورة ذلك الطفل الذي يعاني من جراء الزواج الثاني ، ومن ثم تتحطم كل الرؤى الجميلة للطفولة ، تلك التي تواجه مشكلة الاسرة من خلال الاب والام وزوجة الاب (راجع جريدة " البلاد " عدد ٨٩١٦ في ١٤٠٨:١١:٢٩ هـ وعدد ٨٩٢٧ في ١٤٠٨/١٢/٢٠ هـ) .

ولكي يحدث الكاتب محمد المنصور الشقحاء هذا الاثر الاجتماعي نراه يلح على تلك القضية ، ويأخذ يستمد موضوعاته ويرسم شخوصه ، ويدير حوارهم بطريقة موضوعية .. ومن ينظر قصته " الحرمان (احدى قصص مجموعته " حكاية حب ساذجة ") ، يراه ينتقي أشخاص هذه القصة ، وموضوعاتها ، وأحداثها من البيئة الاجتماعية التي يعيشها ، ويتناول مشكلات الناس العاديين الفعلية ، وكأنه يلفت نظرنا من خلال ذلك الى ان ما يتحرك أمامنا في ثنايا القصة أمر محتمل الحدوث فعلا ، وأنه أقرب الى مايقابلنا من الحياة الواقعية ، وهذا يعني أنه يريد أن يكشف لنا تلك الجوانب من الحياة والتي قد يضل فيها الانسان العادي .

فالظاهرة الواضحة في قصصه انه يتجه نحو البيئة ، ويتخذها منبعا يستمد منه مادة قصصه ، ومن يتتبع محاولاته الاولى في فن القصة القصيرة يجده لا يبعد عن الزمان الموضوعي والمكان الموضوعي فقصته " الهندية " (احدى قصص مجموعته " البحث عن ابتسامة ") محددة الزمان والمكان ، ومجموعته "حكاية حب ساذجة " ترينا مدينة الطائف بمعالمها التي هي عليها ومجموعته " مساء يوم من آذار " تنتقل بنا في أنحاء متعددة من المملكة ، في مدنها وقراها ، ومجموعاته القصصية " انتظار الرحلة الملغاة " و " الزهور الصفراء " و " قالت انها قادمة " و " الغريب " يصور الزمان والمكان فيها ما طبعت عليه نفس الكاتب x وما كان يسكن اليه تفكيره ، وان كان هذا لا يمنعه من تصوير كل الحيوات التي عاشها ، والبيئات التي زارها ، والاشخاص الذين خالطهم ، والنفسيات التي لاحظها ، والتجارب التي أحسها ، ويأخذ يقدم شخوصه

على تباين اتجاهاتها وأمنياتها، وأحوالها تناولا رفيقا لينا رقيقا .

وتحت ضغط الصراع بين الحضارة والبداوة ، وما أسفر عنه هذا الصراع من احساس بالغربة واضطراب وضغط في الحياة اليومية ، تتمحور قصص كثيرة للكاتب محمد المنصور الشقحاء فيأخذ في تسجيل المواقف ،ويحاول أن يرصد نفس الانسان ومعاناته الصادقة ، وتجربته في الحياة يحياها رصدا ليس له فيما نرى نهاية .

انصدام الكاتب مع الواقع لايتكرر في قصص مجموعات الشقحاء فحسب ، بل انه يتكرر في قصص المجموعة الواحدة ، ولعل أحسن قطعة تمثل هذا الصدام هي القطعة التي بدأ بها قصته " احتراق الزمن الغريب " (احدى قصص مجموعته " مساء يوم في آذار ")، فهي تمثل الصراع في أعلى درجاته والكاتب لا يتحدث في القصة عن الحقيقة التي عاشها البطل كرجل مكافح ، وانما يتحدث عن أحلام هذا البطل ، وأسلوب الكاتب على دقته ووضوحه مشحون بالعواطف ومعبر عن صراع العصر تمام التعبير .

ونستطيع بهذا أن نقول ان الكاتب محمد المنصور الشقحاء قد تطور في مجموعاته القصصية بفنّ القصة القصيرة من ناحيتين :
الاولى : ناحية وصف الواقع كما يراه الفنان ببصيرته ، اي انه يتناوله الواقع باحساس الفنان ويعبر عنه فيما بعد ببصيرة الفنان واحساسه أيضا .

الثانية : ناحية التحليل ، فلم يعد التحليل عنده مقصودا لذاته ، ويصبح هو المطلب الاساسي الذي يشغل جانب القصة الاكبر ، بيد أنه قصد من التحليل احداث الاثر النفسي الذي يرجوه من كل الاعمال الفنية ، بدون أن يبعد الكاتب بتحليله الشخوص والدوافع عن الواقع من ناحية ، ودون ان يقف التحليل النفسي حائلا بين العمل القصصي وبين احداث الاثر النفسي المطلوب (انظر " جراح ليلة فرح " احدى قصص مجموعته " قالت أنها قادمة ")

ومحمد المنصور الشقحاء في قصصه الاولى يعني بالمكان عناية فائقة ، ويصفه وصفا محكما ودقيقا ،وهو في هذه الناحية يشبه تمام الشبه الكاتب أحمد السباعي في غلبة الوصف المكاني على كثير من قصصه ..وقد رأينا ان السبب في احتفال السباعي بالمكان يرجع الى أنه كان يجوب الشوارع والازقة وبخاصة في الاحياء الشعبية ، ويدخل الدور ويتفقدها فتنطبع في ذهنه صور الاشياء والاماكن التي يزورها ، ثم يعيد تخطيطها وتنسيقها في قصصه (راجع الفصل الخامس من كتابنا " القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية) ..
.. لكن الامر عند الشقحاء يأتي فيما أرى من أنه شغوف أشد الشغف بالمسرح ، حيث يلزم ان تكون جزئيات المشهد التمثيلي جلية واضحة أمام المتفرج ، ومنذ أول قصة كتبها الشقحاء نلمح شغفه بالوصف المكاني ، ودقته في هذا الوصف دقة تجعله لا يترك صغيرة

ولا كبيرة في المكان الذي يريد أن يصفه الا أحصاها .

ويبلغ به الوصف المكاني مداه في مجموعتيه " البحث عن ابتسامة " و " مساء يوم في آذار حيث يسرف في اعطاء القارئ صورة واضحة المعالم ، متكاملة التفاصيل ، عن جولاته ، ونهراه يعلق على كل شيء ينقله عن الواقع ليبدي فيه رأيا ، .. او ليشرحه ويفسره ، أو ينقده ويجرحه

وعن طريق عرضه لتجاربه الخاصة عرفناه قصصيا موضوعيا يرسم قضايا اجتماعية كثيرة كانت تعوق تقدم المجتمع وانطلاقه نحو التطور والمدنية ، وكثيرا ما نجده يتخذ لنفسه جانبا محايدا فلايتدخل في ثنايا قصصه ، وانما يراقب الحياة والاحداث ، ويدع الشخوص تعبر عن الواقع النفسي الذي يعيشونه ويعتمل في أعماقهم ومن ينظر قصته " قالت أنها قادمة " يرى الكاتب يعني بالتحليل والرصد ، ويولي اللحظة النفسية والحالة الخاصة جل عنايته ، ويأخذ حديث الشخصية يقترب من لغة الحديث النفسي .

وقصص محمد الشقحاء فوق هذا كله تعبر عن فنان يحس ويشعر ويتألم ، ويراقب الحياة باحساسه وانفعالاته ومشاعره ، فهو يتناول الواقع بروح فنان لا بعقل فيلسوف وهو في كل الحالات كان حريصا على المضمون الاجتماعي ، مقتربا من الواقع ، معبرا بصدق عن البيئة والعصر ، متشبثا بآراء مدرسة الواقعية الحديثة ، ولم يكن في أي حال من أحواله ملبيا لطلب الصحافة وما يقتضيه من سرعة وتلفيق .. ويواصل الشقحاء كتاباته القصصية ليطور من فن التصوير القصصي ، ولتصبح صورة لوحاته ناطقه بالحركة ومتسمة بالتطور والنمو .

الدكتور طلعت صبح السيد

الاستاذ المشارك في كلية اعداد المعلمين بالطائف واستاذ الادبه ، والنقد الادبي المساعد في جامعة الازهر .

قال غاندي :

* ليس في حياة الافراد ولا حياة الشعوب خطأ لا يمكن اصلاحه ، فالرجوع الى الصواب يمحو جميع الاخطاء ".

* كنت أرفض دائما ان أعمل في السر عملا أخجل أن أعمله جهرا " .

للمرأة.. التاريخ والوطن..

شعر: محمد بسام الجندلي

لك الصولات والجولات والليل ..

لك الخيل ..

لك الاحلام والامال

لك الحب ..

لك اللفتات والهمسات ،

وقلب العاشق الصب ،

لك القلب ،

وكالفرس الشموس على ضفاف الحلم أنت

صهيلها دعوة

وكنت الفارس الموعود ،

وليلك ساحة المشهود ،

على صهوات أجيادك ،

أغير على بلاد الفرس والرومان ،

وأغزو الهند ، أغزو السند ،

أرفع راية الانسان ،

***

أعود اليك يا امرأة تكون الارض ..

تغدو الام والابنه

أعود اليك أغرس فيك رمح الشوق

يشرب من ينابيعك

ويزهر غضبة حمراء

تدفع عن مواجيعك ،

**

لأجلك خضت بحر الهند والقلزم ،

وتاريخي تفور به سطورالدم ،

لعينيك أكون ابن الوليد،

وطارق ابن زياد

وكنت بن الزبير، وعمرو ، والمقداد ،

لأنك أنت كنت الارض ،

أنتالرمز والكلمة ،

لأنك في زبطرة أنت كنت العرض ،

وكنت خلاصة الامة

بلا امرأة = بلا سكن = بلا وجدان

بلا وطن = بلا انسان - بغير أمان

محمد بسام الجندلي

لوحات شعبية اجتماعيّة

شيخ الحديقة الوَلي الصّالح

بقلم : صلاح الدين بن موسى /ليبيا /

ومن في الجميلية وسيف الدولة في مدينة حلب لا يعرف أباخالد بسراويله الاسود الفضفاض وكوفيته الحمراء وصداره البني القاتم ..؟
نراه جالسا على كرسي واطيء صغير من طلوع الشمس حتى مغيبها أمام غرفته الخشبية في الحديقة العامة .. يرقب الداخلين الى الحديقة ويتفقد شؤونها وكثيرا ما ينهض من جلسته هذه المريحة ليزجر الصبية الذين افترشوا المروج الحضراء او حولوها الى ملعب كرة القدم .. وأبو خالد يعرف جل رواد الحديقة ويميز الخبيث منهم من الطيب بل انه رغم تخطيه الستين من عمره يحتفظ بالذكريات الحلوة والمرة ويرويها لزملائه الجدد من موظفي الحديقة وهو متهلل الوجه بارق العينين واذا ما قاطعه احد الحاضرين مستنكرا أو معترضا ارسل اليه نظرات ثاقبة فيها الكثير من العتاب واللوم والاشفاق فيصمت ويستأنف شريط ذكرياته .

ومع أن زياراتي للحديقة العامة تكاد تكون في موسم الصيف فقط وفي شهر واحد من كل عام فقد كان أبو خالد يعرفني حق المعرفة وكثيرا ما كان يستوقفني وأنا داخل الى الحديقة ليقدم الى كأس الشاهي بالنعنع الاخضر ذي الأريج العطر .

سألني يوما :

- لدى سؤال شخصي يا أستاذ هل تسمح بطرحه عليك ان لم يكن ثمة احراج ؟
قلت : سل ما بدا لك يا عمي ؟
قال : (بعد أن جرع جرعة طويلة من كأسه) اني لا أراك تزور الحديقة الا في الصيف وفي شهر آب فأين تمضي بقية شهور السنة ؟

قلت : أنت يا سيدي من بلد بعيد وبعيد جدا عن حلب .

وكأن هذه العبارة هزته فنهض واقفا وقال بصوت مضطرب :
- أقلت انك من بلد بعيد أحقا ما تقول؟
- نعم يا سيدي ، اني من المغرب العربي الكبير بلد الجهاد والنضال والثورات .
- ومن أي قطر منه ؟ هل أنت مغربي يا أستاذ ؟ لقد كان يعمل في الحديقة هنا فنذ ثلاثين سنة حارس مغربي كهل .
- لعلك تعني الحاج العجيلي رحمة الله عليه
- هو ما عنيت ، انما والله لم أره منذ ان غادر سورية الى بلده منذ ثلاثين سنة بعد أن تقاعد عن العمل في الحديقة وكنا نزوره في داره ، ونستمع الى أحاديثه الشيقة .. وقد نسيت اسم البلد التي هاجر اليها رغم انه كان يتغنى بها كثيرا . . رحمه وطيب ثراه ..
قلت : انه ليس من المغرب .. " القطر الشقيق " بل هو من ليبيا يا حاج .
- ليبيا تعني بلد عمر المختار .
- وبلد العقيد معمر القذافي قائد ثورة

[illegible] العظيمة ، ومدينة الحاج العجيلي هي بنغازي وقد توفي فيها .
– نعم نعم.. انها بنغازي اذ كان كثيرا ما يحدثنا عنها وعن جمالها وعن طيبة أهلها وكرمهم وأنهم مسلمون حقا ..
وكان أمله الوحيد رغم تخطيه الثمانين أن يعود اليها ويلثم ثراها اذ أنه فارقها في ميعة الصبا ونضرة الشباب .

قلت لأبي خالد : لقد كان هذا الرجل يا صاحبي تقيا ورعا ولقد زرته هنا مرارا في الحديقة ودعاني الى داره في الوكيلية حيث كان يقدم لنا الاكلات الليبية الشهية كالبازين والكسكسي والرشتة وهي أكلات شعبية لذيذة الطعم لعلك يا حاج ذقت بعضا منها .
قال ابو خالد : وهو يفرك أحدى أذنيه .
– أجل كان ذلك منذ عشرات السنين وقد دعانا الحاج العجيلي الى داره وهي في الوكيلية كما قلت قرب باب الحديد كما أذكر ، وكانت وجبة العشاء قصعة كبيرة من الكسكسي المجللة بالكثير من قطع اللحم الكبيرة ورغم مضي تلك السنوات الطويلة لا زال ذلك الكسكسي اللذيذ طعمه على لساني .
قلت : يا ابا خالد هل انت موظف قديم في هذه الحديقة ؟
قال وهو يجتر ذكرياته : انا هنا منذ أربعين سنة وكان عمري اذ ذاك اثنتين وعشرين سنة وكنت شابا نشيطا أسكن مع والدي العجوزين في دار ضيقة في حي باب النيرب .

وعندما اعلنت بلدية حلب عن وظائف شاغرة في الحديقة كنت في عداد المقبولين وبدأت عملي عامل نظافة بأجر يومي زهيد لا يتجاوز الاربعين ليرة فس الشهر ولكنه في ذلك الوقت كان يكفي لسد حاجات الأسرة ..

ولم تكن الحديقة كمانراها الان فقد كانت أقل اتساعا كما ان نهر قويق في حالة مزرية جدا ينفث على جانبيه روائح كريهة صادرة مما فيه من مياه ملوثة ولم يكن مغطى بالاسمنت كما تراه الان في ساحة سعد الله الجابري بل كان مكشوفا ذا مجرى عريض في أسفله ساقية ضئيلة سوداء اللون بطيئة الحركة كما تشاهد قسما منها الآن أمامك في الحديقة ، وكانت هذه الساقية يا أستاذ مصدر أذى لسكان حلب لما يتولد عليها من البعوض والجراثيم ولم تفلح في صد أذاها المبيدات الحشرية التي ترسلها عليها بلدية حلب من وقت الى آخر ..

وكانت هذه الساقية ذا خطر عظيم لسكان حلب في الشتاء وذلك عندما يفيض نهر قويق ، وان لا أنس ما حدث للنهر سنة ١٩٥٢م وهي السنة التي كان فيها الحاج العجيلي زميلا لنا في الحديقة – فقد فاض النهر عندما تدفقت السيول في هضبة الاناضول وذابت الثلوج في الجبال، فقد ملأت المياه النهر وفاضت عن جانبيه فأغرقت قسما كبيرا من حوانيت الجميلية كما غمرت المياه الحديقة وقضت على الاعشاب والورود والازهار ومجموعة من الاشجار ولم تعد الحديقة الى سابق عهدها الا بعد سنة ونصف من الفيضان .

قلت للحاج أبا خالد :
لقد زرت الحديقة العامة عقب الفيضان ورأيت آثار المياه فيها وكان الحاج العلواني بالغ التأثر والحزن كما أني زرتها بعد عامين وقد عاد اليها رونقها وبهاؤها وتناثرت المقاعد في جنباتها وتلألأت المصابيح الكهربائية في ساحاتها وارتفع صوت سيدة الطرب أم كلثوم يشنف آذان زوارها ولا سيما في الليالي القمرية الدافئة.. حين يحلو السهر ويطيب الاستماع ..

ولقد لاحظت يا ابا خالد ان الحاج العجيلي في ذلك الوقت – كان دائم التفكير شارد الذهن وأذكر انه قال لي : هل زرت الوطن يا أستاذ ؟
قلت : لا لم أزره بعد ، ولكني عازم على ذلك بعد سنتين ان شاء الله فقد ذهبت اليه بنت شقيقتي مريم وعادت بانطباعات جميلة عن البلاد والاهل ..
قال وهو ينهض متهالكا على نفسه : هيا بنا الى الدار يا أستاذ ونتابع الحديث هناك.. ولقد اوصتني الحاجة – يقصد زوجته – بأن أدعوك اليوم الى الغذاء وستكون وجبة الغذاء كسكسي بالبطلة ، (بضم الواو وتسكين الصاد وفتح اللام)
قلت حبا وكرامة يا حاج ، فأنت رجل مبارك مؤمن وكريم .
قال : لا تقل هذا يا استاذ فالخير خير الله والفضل له اولا وأخيرا ..
قلت : أنعم بالله وأعظم ..

وكانت الساعة الرابعةوهو الوقت الـذي تعود فيه الحاج أن يغادر الحديقة بعد صلاة عصر كل يوم ويعهد باغلاق الحديقة وحراستها الى زملائه الشباب أمثالك يا حاج أبو خالد .
قال أبو خالد : نعم ذاك صحيح فقد كنا نقدر الحاج كثيرا ونبذل كل شيء في سبيل مرضاته ورغم ان اللوحة التي كانت على باب الحديقة تشير الى أن الحديقة تفتح من شروق الشمس الى مغيبها فقد كان رحمه الله يغادرنا عصرا بعد أن يصلي بنا العصر جماعة .

وما أن فرغت من احتساء كأس الشاهي حتى تابعت حديثي قائلا :
وفي دار الحاج العجيلي ، وهي دار شرقية الطراز ذات بناء واسع تحيط به بعض الغرف ، وفي الزاوية اليمنى ايوان يفضي الى غرفة الحاج العلواني الخاصة ـ وهذه الزاوية كما يدعو الحاج العجيلي حجرته غرفة ضيقة فيها نافذة واحدة وعلى أرضها بساط مزركش أحمر عليه بعض الوسائد وتناثرت على الارض اوراق صفراء هي صفحات من كتب دينية وفقهية وجلسنا على البساط وشرع الحاج يقول :
انا في هذه الزاوية يا استاذمنذ تسع وأربعين سنة اي منذ ان هاجرت من بنغازي الى ديار الشام واتخذت حلب موطنا آخر لي ، وقد اشتريت هذا المنزل من صاحبه الحاج محمد المبارك رحمه الله ـ بتسع ليرات ذهبية ويسكن معي زوج أخت زوجي الحاج عبد الله ونعيش معا اسرة واحدة في صفاء ومحبة ووئام ..

وأحضر الحاج العجيلي حقيبة جلدية صغيرة أخرج منها مجموعة من الاوراق فيها كتابات بخط مغربي قديم وأمسك واحدة منها وتأملها مليا ثم قال اسمع يا أستاذ هذه صفحة من الجفر " العهدة " دستور يا صالحين انه جفر سيدي عبد السلام الاسمر رضي الله عنه وأرضاه وفيه أسرار الكون وخفايا الزمان .
قلت : وما هو الجفر يا سيدنا الحاج ؟
قلت : انه عهد مكتوب بخط سيدي عبد السلام نفسه ومن املاء الشيخ نفسه وأصلح من وضع نظارتيه وتابع حديثه :

وسوف أقرأ لك بعضا من اسرار سيدي عبد السلام الرجل العارف بالله الواصل.
قلت : لعلك تعني التقي الصالح العابد العالم الفقيه سيدي عبد السلام الاسمر ذي الزاوية المعروفة باسمه في زلطين .
قال : نعم ، انه جفره ووظيفته /بركاته يا سيدي عبد السلام..
قال ابو خالد : وهو ينصت بكل اهتمام الى حديثي عن الولي الصالح .
ـ وهل قرأ لك شيئا من هذه الكتابات يا أستاذ ؟
قلت : بعد ان قرعت زوجة ثلاث مرات . . وهي علامة متفق عليها بينها وبينه ، خرج الحاج من الحجرة ثم عاد وهو يحمل ابريق الشاهي وقدم لي قدحا وهو يردد سأقرأ لك من الجفر الشيء الكثير وسترى العجب العجاب يا أستاذ ؟

قلت : حسنا هيا بنا فاني جد مشتاق الى كرامات سيدي عبد السلام ، فتناول الحاج كتابا أصفر غير مجلد ووضع نظارتيه على عينيه وشرع يقرأ " باسم الله واعتمادا عليه ، سيظهر فيكم رجل عظيم يحكم هذه الامة بالعدل والصلاح يوحد من شأنها ويلم شتاتها .
ـ حروب وحروب كثيرة تسود بين المسلمين لاينتصر فيها أحد ولكنها تسبب الشقاء والحرمان ..

وقطع عليه قراءته تصفيق زوجته ثلاثا فحوقل الحاج وقال : حسنا سأقرأ لك المزيد بعد العشاء ان شاء الله .

وخرج ليأتي بقصعة الكسكسي وقد فاح قتارها وذكت رائحتهافوضعها أمامي وكانت والحق يقال يا أباخالد قصعة شهية مجللة كما قلت أنت في وصفها ـ باللحم الكبير والبصل والقرعة والكوسا والبطاطا .

وقبل أن تمتد ايدينا الى الطعام قرع الباب فتهللت اسارير الحاج وقال:
انه الحاج عبد الله ابو وليد ، حظه عظيم وابن حلال و(حماته تحبه) كما يقولون فقد جاء اليوم باكرا ليشاركنا في وجبتنا هذه الشهية ودخل ابو وليد بقامته المديدة ، يرتدي بدلة خاكية وعلى رأسه كوفية وعقال ، وهو يعمل في سكة الحديد مراقبا للحركة فيها ـ وبعد أن رحب بي وسألني عن الاسرة والاقارب استأذن وغادر الحجرة ثم عاد بعد ان بدل ثيابه وأزال عنه وعثاء السفر فقد كان مرافقا للقطار القادم من الجزيرة منذ الصباح الباكر وحتى الساعة الرابعة مساء وعمله كمراقب للسكك الحديدية في

محطة بغداد يجعله كثير السفر والترحال.

وتناولنا غذاءنا بين حديث وطرفة ، وبعد أن أدينا صلاة المغرب واحتسينا كؤوس الشاهي الاخضر المربرب ذي الكشكوشة والكاكاويه ..

وودعنا الحاج عبد اللهفهو مرهق ويريد أن ينال حظا من الراحة بعد تعب النهار ..
عاد الحاج الى كتابه ليقرأ وقد تهدج صوته وانتفخت أوداجه :
" وستمرون أيها المسلمون بأحداث عظيمة ترفع أناسا وتخفض أناسا ينصب فيها رئيس مسلم يحبه المسلمون يعمل بشرع الله ويوحد البلاد ..
وستغلب الدول الكافرة ويحق الحق وتعود البلاد الى أهلها ..
ويستمرالحاج في قراءته وانا ذاهل مما أسمع غير مصدق بأن تكون هذه العبارات من أقوال الولي الصالح والعالم العارف سيدي عبد السلام الاسمر مؤمنا بأن هذه الكتابات ليست الا نظرات لاحد مشائخ العصر التركي المملوكي سجلها في هذا الكتاب ونسبها من طبع الكتاب الى الشيخ سيدي عبد السلام او هكذا توهم الحاج العجيلي انها من كتابات سيدي عبد السلام قدس الله سره ..

وما كاد الحاج يدرك بأن الملل قد بدأ يتسرب الي ، حتى أطبق الكتاب بعناية وحرص شديد وأدخله في كيس أبيض شفاف ووضعه فوق الخزانة الخشبية ثم عاد الى مجلسه باسما ومازحا وقائلا : أنتم معاشر الشباب لا تصدقون ذلك فحسبنا الله ونعم الوكيل ..

وغادرت منزل الحاج في ساعة

متأخرة من الليل على أن أزوره في داره كلما جئت الى حلب من دمشق فوعدته خيرا
قال ابو خالد : وهل رأيته بعد ذلك يا أستاذ ؟
ـ لا فقد شغلتني اعباء الحياة في دمشق، ولكني تلقيت منه رسالة عقب وفاة والدي يوصيني فيها بأمي خيرا وفيها أيضا جملة من آيات الصبر الكريمة وأحاديث الرسول الشريفة الحاثة على التجلد في وجه المصائب ..
الى أن كانت ست وستين وتسعمائة وألف زرت حلب وقصدت الحديقة وسألت عنه فقيل لي انه في بنغازي عند أهله وقبيلته ..
قال أبو خالد : نعم تلك هي السنة التي غادرنا فيها الى بنغازي بعد أن ودعنا واحدا واحدا ودعانا ان نسامحه فلربما لن يعود الى سوريه. ولكنه عاد الى حلب في شهر تموز من نفس السنة ،واستقال من عمله في الحديقة وظل سنوات في حلب معتكفا في منزله نزوره من وقت الى آخر الى أن سافر الى ليبيا نهائيا سنة خمس وستين ..

انه في بنغازي بين افراد عشيرته بعد ان قطع آخر خيط يربطه بسورية فقد باع تقاعده وداره في حلب ورافقه في هجرته هذه الثانية نسيبه الحاج عبد الله والذي كما قلت لك آثر الاقامة في طرابلس لأن ولده وليد يعمل في احدى الشركات الاجنبية فيها ..

وبعد سنة ونصف من اقامتي في طرابلس زارنا في طرابلس ابن خالتي الحاج عز الدين والذي هاجر هو ايضا من حلب الى بنغازي والذي يقيم فيها منذ عشرات السنين وعندما سألته عن الحاج العجيلي واحواله ،
قال : رحمه الله ـ لقد اختاره الله الى جواره في السنة الماضية بعد مرض ، لم يمهله الاشهرين فقط .
قال ابو خالد : صدق الله العظيم:" وما تدري نفس بأي أرض تموت " في جنة الرضوان أيها الرجل الصالح .. فقد كنت لنا ابا ومعينا وناصرا ومرشدا وناصحا.

ـ أجل لقد كان الحاج العجيلي أبا لنا جميعا ، ولكن هل سمعت شيئا من كرامات هذا الرجل الصالح ..
قال ابو خالد : نعم هات ما عندك يا أستاذ
ـ وأضاف الحاج عز الدين انه اي الحاج العجيلي كان يتمنى الموت في دار الهجرة سورية ولكنها مشيئة الله جل جلاله فقد وسد في الارض التي ولد فيها ونشأ في ربوعها .. وأحبها ولم يهاجر منها الا مرغما فرارا بدينه وعروبته ومبادئه..
قلت للحاج عز الدين : علمت انه زار ليبيا وغادرها الى حلب بعد ثلاثة أشهر من قدومه فلماذا اذن جاء الى بنغازي ما دام يتمنى الموت في بلاد الشام ؟

قال : ان لذلك قصة طريفة ، تفصح عن احدى كرامات الحاج وتشير بوضوح الى انه من رجال الله الصالحين ..
قلت : وكيف كان ذلك ؟
قال : عندما وصل الى بنغازي في المرة الاولى رحبنا به كثيرا وزاره كثير من أقربائه وأبناء قبيلته ، وحل ضيفا عندي مغززا مكرما الى أن جاءني ذات يوم قائلا :
- أريد زليتن حالا (فقد زارني الشيخ سيدي عبد السلام في الرؤيا ودعاني الى زيارته وسافر الحاج الى زليتن واقام فيها شهرين متتابعين لا نعلم خلالها شيئا عنه نضبت فيها نقوده ولم يعد يملك شيئا ، كما عاوده مرضه في الكبد فجلس يوما في الروضة حزينا ، فأشفق عليه احد زائري الزاوية وسأله عن حاله فلما عرف ما آلت اليه حاله من بؤس وحرمان نصحه بأن يكتب الى الرئيس عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة - وقال له : ان عبد الناصر رجل كبير القلب يحب الخير ويسعى في سبيله - فلعله يساعدك في محنتك يا شيخ ..
وقدم اليه ورقة وقلما ومظروفا فسطر بخطه الكلمات التالية :
الرئيس المؤمن عبد الناصر
الفقير لله تعالى الحاج العلواني - المقيم في روضة سيدي عبد السلام في زليتن في ليبيا يرجوكم باذن الله مساعدته في اعادته الى أسرته في حلب فهو لا يملك شيئا والسلام عليكم ..
وتناول الرجل الطيب الرسالة ووعده بارسالها من بريد طرابلس غدا .

وفي ليلة من ليالي شعبان توضأ الحاج وبدأ يصلي ويدعو ويبكي في خشوع وخضوع .. حتى قبيل آذان الفجر بقليل فأخذته سنة من النوم فرأى فيما يرى النائم أن سيدي عبد السلام يتقدم منه ويوقظه قائلا : هل ترغب في السفر الى الشام هيا انهض - ستسافر ان شاء الله ، ولكن عدني ان تعود الي فاني احبك يا خليلي ..

واستيقظ الحاج العلواني من غفوته فرحا مغتبطا وهو يقول جعله الله فأل خير ، بركاتك يا سيدي عبد السلام .. وشرع يدعو ويبتهل الى الله وقد اغرورقت عيناه بدموع الرحمة والخشوع الى أن كانت الساعة العاشرة صباحا عندما سمع صوت هدير سيارة تقف فجأة امام الزاوية ويدخل الى الروضة رجل يرتدي بذة رسمية ونادى بأعلى صوته هل هناك من يسمى الحاج العجيلي ..

فنهض الحاج متثاقلا وتقدم من الرجل مستفسرا منه عما يريده منه فبادره بقوله : هيا يا حاج انك اليوم ستسافر الى حلب ان الرئيس امر بترحيلك فورا الى بلدك .

كانت السيارة سيارة السفارة العربية في طرابلس والرجل هو موظف السفارة المكلف بمرافقة الحاج الى حلب .

وركب الحاج في السيارة وهو يشكر الله على نعمائه وفضله على عباده .

وفي طرابلس رحب به السفير العربي ونقده مبلغ خمسمائة ليرة سورية ثم ودعه وطلب الى السائق مرافقته فورا الى المطار فان الطائرة ستقلع بعد نصف ساعة .. هيا يا حاج سنذهب الى بلدك فطب نفسا وقر عينا ، وادع لرئيسنا الصالح عبد الناصر بالنصر والعافية ..

وهكذا كان فقد امتطى الحاج العجيلي الطائرة العربية التي أقلته الى دمشق وفيها ركب الحافلة الى حلب مطمئن البال سعيد الحال ..
قال ابو خالد : وقد اذهلته قصة الحاج المثيرة :
- ما أعجب هذا الحديث : انت ولا ريب من اولياء الله الصالحين يا حاج ، جمعنا الله بك في دار المرحمة والغفران ولكن كيف لم يخبرنا الحاج بذلك عندما زارنا في الحديقة يوم عودته من ليبيا ، لقد كنا نراه دائم التفكير ، كثير الشرود ، ومع ذلك لم يحدثنا عن قصة عودته الى حلب .

قلت : لعله كان يعتقد انكم لن تصدقوا ما حدث له فآثر الصمت على ان يرمى بعدم الصدق وبالخيال الواسع ..

مع هذا فاستمع الى حديث نسيبه عز الدين .. وستفهم كل شيء منه
قال الحاج عزالدين :

ولم تطل اقامة الحاج العجيلي في حلب اكثر من ثلاث سنوات نضاهما في

هذه المدينة معتكفا في بيته للعبادة والذكر لا يقابل احدا الا اقاربه وبعضا من زملائه القدامى في الحديقة التي كان يعمل فيها ..
عاوده الحنين والشوق الى وطنه الاول .. فباع بيته في الوكيلية ورحل هو ونسيبه الحاج عبد الله الى ليبيا حيث استقر النسيب في طرابلس والحاج العجيلي في بنغازي ، وبعد شهر ونصف من وصول الحاج الى بنغازي ، ابدى رغبته في السفر الى زليتن ، فرافقه في سفره اليها ولدي الاكبر " عزام " بسيارتنا الخاصة ، وبعد ان اوصل عزام الحاج الى زاوية الشيخ تابع سفره الى طرابلس لزيارة اقاربه فيها على ان يعود الى زلتين بعد ايام ليصطحب الحاج الى بنغازي .

وبعد ان قضى الحاج العجيلي اياما في زاوية سيدي عبد السلام الاسمر عاد الى بنغازي برفقة ولدي " عزام " ، وكان يتمتع بصحة ونشاط وقد اشرق وجهه وعلت الابتسامة ثغره .

وفجأة سقط الحاج مريضا يشكو من انحطاط في قواه الجسمية وثقل سمعه وابيضت عيناه ولم يعد يشعر بمن هم في حضرته وكان لسانه دائم الحمد والشكر والتسبيح .
وصمت الحاج عز الدين واطرق مليا ثم قال :
أقسم لك يا ابن خالتي بأنا كنا نرى كأن هالة من نور قدسي تغمر الحجرة ، حيث كان الحاج راقدا - ونشعر بالهدوء والاطمئنان والراحة النفسية عندما كنا ندخل اليه وهو في ساعاته الاخيرة .
وعندما عاده الحاج مسعود امام الجامع الكبير وقرأ شيئا من آي الذكر الحكيم، خرج ليقول في مسمع من الجميع : انه ولي صالح فقد شعرت بنسائم روحانية تحوم فوق رأسينا ورأيت وكأن طيوفا ملائكية تحيط به وتبشره بالرحمة وبجنة الرضوان..

وفي الخامس من شهر تموز من عام ١٩٧٢م فارق الحاج العجيلي الحياة ، وثغره مبتسم ومحياه طلق وعيناه دامعتان دموع التقوى والايمان ..
وهنا قال ابو خالد حارس الحديقة العامة العجوز:
آمنت بالله وحده وصدق الله العظيم..

من كان يعتقد ان هذا الرجل المبارك يموت في بنغازي وهو الذي كان يتمنى ان تكون حلب مثواه واني لا أزال اذكر قوله لي : ادع لي يا ابا خالد ان تكون حلب هي تربتي ..
قلت : تلك هي مشيئة الله.. لقد عاش الحاج العجيلي صالحا ومات صالحا ونرجو من الله ان يجمعه يوم القيامة مع الصديقين والانبياء والشهداء ..

وماكدت انهي عبارتي الاخيرة حتى رأيت (سامر) ابن اخت زوجي قادما ، ليدعوني الى داره فان خاله (طارق) وزوجه واولاده هم في داره والجميع ينتظرونني على الغداء ..

فودعت الحاج ابا خالد وغادرت الحديقة العامة ، على ان التقي الحاج ابا خالد غدا فان للحديث صلة ..

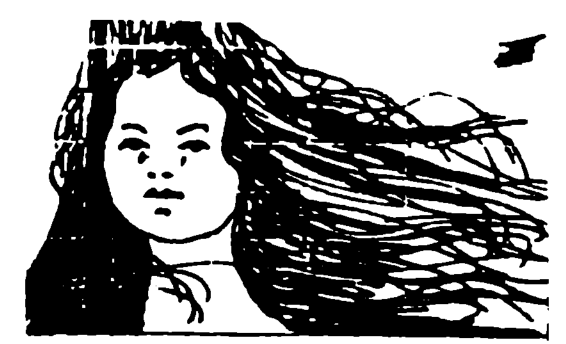
طرابلس / محمد صلاح الدين بن موسى
عضو مؤتمر الاتحاد والكتاب العربي في الجماهيرية الليبية



بطاقة



عندما ينساب صوتك
ينزلق حبك الي بصمت
يكسر حاجز الحزن
يغزو زوايا فؤادي
يوقظني من .. شرودي
شأنك شأن .. الحب
وشأني أنا .. آتلهف
وبين شفتاي تضيع الكلمات
وتتقابل عيوننا
ويشدنا ... الشوق
وأضيع بين خصيلات شعرك
آشكو .. عطشي
ولهفتي
ورغبتي
وعلى دقات الاخلاص
تستقر .. الاقدام
وأظل بظلك
آحتمي
وبنار حبك ،، . أستنير



محمد يوسف الحريري

نشوة ليلى

قصة : بقلم ياسين محمد الشلبي

المرض .. ضيف ثقيل .. مفروض على الجسم .. يقدم له القرى .. شاء أم أبى يستضيفه مرغما .. ضيف ثقيل .. ويختار مكان اقامته ..

قدر جسمي أن يكون مضيفا .. ومنذ سنين طويلة .. بات مشهورا .. فراحت الضيوف تقصده .. الواحد تلو الاخر .. ويطيب لها المقام .. فتبقى ..

يقولون ان الحب وليد التعود .. وهذا ينطبق على العلاقة القائمة .. علاقة الحب .. بيني وبين العناية القلبية ..

اعتادت العناية القلبية ان تراني دائما .. وألفت وجودي في ضيافتها .. كما تعودت بدوري ان أجد نفسي مرتميا في أحضانها .. آنغمس في نعمى حنانها .. وأنال رحيق اسعافها .. فحينا تثبت في جسمي روحا على وشك الاقلاع .. وحينا تكبح جماح ضيف ثقيل .. فأتماثل للشفاء ..

التقيتها في ربيع عام ١٩٨٥ "هه" نبذتني .. تخلصت مني .. قذفتني بأحضان حسناء آخرى .. عناية قلبية .. تتخلى عن مريض .. وبالجلطة .. جئتك مستغيثا يا عناية .. لماذا نبذتني .. لماذا ؟ .. لماذا ؟ ..

عرفت فيما بعد .. أنها عروس تجهز نفسها للزفاف .. فكان الدهانون يضعون اللمسات الاخيرة من زينتها .. وأن نقلي لمشفى آخر .. قدر من طبيب العناية .. صادر عن الالتزام .. ودافع مهني نبيل .. غايته انقاذ حياتي .. وكان ذلك ..

هذا آنا يا ليلى .. أضحيت فريسة سهلة لأكثر من مرض .. لنيلى .. يا من تجوب روحك الطاهرة .. عالم الخلود .. في رحاب الله المقدسة .. انني أشقى في سجن الفناء .. تجرني قدماي الى الهاوية .. عاجزا أنا ياليلى .. وأحلم بالخلود .. كثرت الضيوف يا حبيبتي .. ولم يعد في الجسم قرى ..

ليلى .. جئتك أحمل الحدقة في قلب تصدع .. أحمل الماضي كسوط .. وسوط الحب موجع .. أتحدث .. ألهث .. كما ترينني .. وأنا على سرير المعاناة .. أغيب عن الوجود .. أغمض عيني لنشوة

الالم .. وافتحها على مر الواقع .. صحوت
يا ليلى على انفجار براكين أعماقي ..
اثر حفرة .. أحيتها .. وحررتها .. فكانت
مناجاتك .. والحديث الى الحبيب .. ولو
في الخيال .. يريح النفس .. ويطرح
عنها الاسى ..

مسكين حبيبك يا ليلى .. أثقلت
قلبه أعباء الحياة .. نسي ما هي الخفة ،
فراح يجر نفسه .. يصارع أعماقه .. ويحمل
على ظهره كل شيء نحس من هذا الوجود ..
حبيبك .. قدره ان يكون جريحا .. ويقاتل
في ليلة باردة .. لم لا ؟ .. غبت ..
فغاب عنه الحب .. تمزق شراعه .. بعدك
يا حلوتي .. لم يبق له ما ينير نفسه ..
فانمحى من أمام ناظريه أفق حياته ..
وارتمى .. وهو السباح الفاشل .. في
محيط لا قبل له به .. بروحه المغلولة ..
أضحى سفينة بلا شراع .. بلا مجذاف .. حتى
بلا ربان .. حتى رأسه .. وراح يبكي بين
الامواج .. باحثا في المجهول .. عن
طريق خلاص .. لا وجود له ..

هذا أنا يا ليلى .. أتقلب على
سريري .. قد أعي ما يدور حولي .. وقد
لا أعي .. عرفت الموت .. تذوقت طعمه ..
عشته مرات عديدة ..

نعم .. ماذا تريدين .. ؟ عفوا
وبكل تهذيب وحنان ، حان موعد الابرة
.. هل تسمح ؟ ..
– تفضلي .. هذي يدي .. سحقا للابر ..
الى متى .. ؟ انك بحالة ارهاق ..
سأستدعي الطبيب المناوب .. الاجهاد
واضح .. لا .. ارجوك .. انا بخير سأنام
.. مسكين .. نعم فعلاجك في راحتك ..
ومما تعانيه بالذات ..

هذا واقعي يا ليلى .. انظري ..
هناك .. زائر جديد .. يفد الى الجناح ،
كالمعتاد .. قادم من العناية المشددة ،
يجلس على كرسي متحرك .. مطأطئ الرأس
كما لو أنه اقترف ذنبا .. ويخجل من
مواجهة الاخرين .. وجهه ممتقع ..
عيناه غائرتان .. رباه .. ما به زائرنا
" رباه " تلك كانت حالتي يا ليلى ..
في كل مرة .. وربما كنت أكثر سوءا منه ،
قاتل الله الجلطة .. من أين غزانا هذا
المرض الملعون ؟ .. لم نكن نسمع به
من قبل .. قدري .. وقدرك .. أيها
الزائر ان نكون من ضحاياه

ها هو يتمدد على سريره .. خائر
القوى .. لا يعي ما يدور حوله ..
أغمض عينيه .. وراح يغط في سبات عميق
.. بعد جهاد عدة أيام .. صارع خلالها
الموت .. وتحمل من أجل البقاء الكثير
هناك .. في العناية القلبية المشددة .

نعم .. هناك في العناية القلبية
المشددة .. تتجلى العناية الالهية المرسلة
لنا نحن المرضى .. جنود مجهولون ..
يكونون دائما على أهبة الاستعداد ..
لاستقبال زائريهم .. وهم يرفعون لهم
يد الضراعة .. والاستغاثة .. بعد الله .

تلك كانت حالتي يا ليلى .. ومرارا
ولمرات ..

ما أجملهم .. وهم يلبون الاستغاثة
ما أنبلهم وهم يحتضنون المريض بجوارحهم
ما أجلهم .. وأعظمهم .. عندما يشعرون
بالنشوة تطيف بهم .. في كل مرة ينقذون
فيها مريضا .. يثبتون فيه روحا كادت
أن تفر .. يعيدون اليه الحياة ..

لا تستغربي يا ليلى .. فقد حدث
ذلك معي .. ولمرات .. يغمى علي .. أفقد
الوعي في الطريق .. في البيت .. في



العمل .. وينقلوني الى هذه العناية القلبية .. ميؤوسا مني .. وهنا وبعد جهاد من العناية الالهية .. الطبيب .. ورسول العناية الالهية .. الممرضة .. تعود لي الحياة .. أبصر .. وأسمع .. وأعي .. انها العناية الالهية لا القلبية يا ليلى ..

رسول العناية الالهية ياليلى ..
كم عذبته .. وهو مسمر الى جانبي ..
يرعاني .. لا يردد الا كلمة .. حاضر ..
فورا .. في الحال .. يستوعب تعليمات الطبيب .. بنهم .. يسرع في احضار الدواء

يعطيني اياه .. بمهارة كبيرة .. دافعه اللهفة علي .. وتفانيه في اداء رسالته المقدسة .. بوحي الذات .. وبدافع منها لهفته علي تجاوزت حب الام .. وحنان الاخت .. حتى خلتك من يرعاني ياليلى .. أيتها الطبيبة .. أيها الطبيب .. أنتم العناية الالهية .. وانت ياحبيبتي الممرضة .. رسول العناية الالهية ..

أنتم يا من تعطون بلامقابل ..
تمنحون قلوبكم .. من خلال رعايتكم .. لقد زرعتم في قلبي .. حبكم واحترامكم .. فاليكم يخفق القلب بصدق .. وما خفقته التي أعدتم اليها .. أو ثبتم فيها .. الحياة .. الا نوع من العرفان وليس هذا عليكم بكثير .. هناك .. كنت أيها الزائر الجديد .. ونلت هذه العناية كلها .. وأنت لا تدري .. لماذا .. لأنك مثلي فاقد الوعي .. يداك الممدودتان بلا حراك .. المستسلمتان هما لعمري .. تعبران عن اقصى درجات الاستغاثة .. والضراعة .. وقد رزقهما الله يا صاح .. من لبى نداءهما .. فأغاثهما بلهفة وحنان .. لا عليك .. غدا ستصحو .. كما صحوت من قبلك .. وكما الكثيرون .. ممن أسعفوا وتعافوا في هذه الشعبة، الشعبة المعطاءة .. شعبة أمراض القلب في مشفى دمشق " المجتهد "

ياسين محمد الشلبي

هل الحبيب

محمود نجيب الفلاح

هل الحبيب فمرحبا بقدومه
وبحسن منظره وطيب عبيقه
البدر أدنى منزلا من نوره
يغني الجراح عن العلاج بلمسة
يا حبذا أخلاقه وصفاته
يتنافس الادباء في أوصافه
والوجه مكسي جلالا هيبة
جمع الجمال وحسنه كما
يمشي الهوينا في بهاء مثلما
والصدر ملآن بحب فضيلة
والياسمين جبينه قد زاده
في الارض عرس والسماء ببهجة

وبنور طلعته ونور وروده
وأنيق ملبسه وزهو بروده
الهام فنان وبيت قصيده
باللطف عند لقائه ونفوره
وذكاء خاطره ، وفاء عهوده
بقصائد جلى ووصف زهوره
وللنور يسطع والسنا بسجوده
كالورد يبهج في منابت عوده
ملك تهادى من علي مهاده
قبس يشع على الورى من جيده
لون الورود نضارة بخدوده
فالكون مزدان بذكرى عيده

الحقيقة أنثى

شعر: سلامة الملحم

مهداة الى شهيدات القضية
سناء. ابتسام. غالية. حميدة



بذرة كانت جذور الارز ، بالامس ،
وكان السنديان ،
آلهات الخلق والحسن ، وأم الاقحوان
ملكات النحل والشمس ،وعشتار ..
وكل الفاتنات
كيدهن المذهل المجهول في كم ، وكيف
بين ماض من دم الكون وآت
وتعامة "(١) أنجبت" مردوك "(٢) من
قلب حنون
خانها " مردوك " مغتالا بها ذاك السكون
زينب أو مريم او عائشة
كلنا من رحم الانثى أتى ..
وننادي ، بين قفر الوهم والطبل وغار
الكبرياء..
وحصان الجهل جماح طفور :
" ناقصات العقل والدين هزيلات كثيرات
الشرور " ..
آه ما أكذبنا يا ابن زبيبه
أنت من أين أتيت ؟ والى أين تغذ السير
في الريح وفي بطن الدجى ..؟
تصرع الوحش وتجتاح القبائل .-
انها عبلة جاءت تزرع العزم بقلب رعوي

*

تركض النار الى الشمس لتحظى بالحنان
غربة الجدول ذي الموال تغري الشعراء

ائحا يصرخ : أماه ،وتأتيه " تعامه "
فينام الجدول الملهوف في عينين من حب
ودفء .. وأمان ..

*

تترائين فراشا من ثمار اللذة الكبرى .
وأنت الكاف والواو ونون الكائنات
ومن القلب الى القلب يدور الحب مجنون
الخطا ..
موجة تبعث للشط ألوف القبلات ..
فيذوب الجبل الجبار في دنيا الغرام
غيمة تغمر حقلا ..
بلباس يطرد البرد ويأتي بالغذاء
حبة البر تضحي للرغيف
لينام الامن مزروعا بعين الفقراء ..
وبطون الاغنياء..
وتدور الارض للخلف بنا .. علمينا ياسناء
أين تفاح الحياة الفائزه..
علمينا أبجديات ، جديده ..
قد تدمى النعل والساق – من الركض –
ولم نبرح مكانا ..

علمينا ..
جاوبتني من جفون البرزخ الريان
في دار الخلود :
عندما ينبجس البركان والدينار تثور ..
يحرق الطاغوت والتجار والليل وأرباب
العبيد ..
يقبل الرعد بعزف دموي
باندماج الرعد والبركان تفنى الحشرات
ويعود الكون بكرا ..
طافحا بالحب والصدق ، وتأتيه الخصوبة
من ضمير الجمم ، من بقايا الرمم
يأخذ الشكل الى التعبير خير المفردات
ومضامين لها أبعاد قلب صار نارا
صارت النار شعاعا
لقح الأرحام بالطلع فجاء الزهر غارا
صار زهر الغار مفروشا بدرب النحل
فانساب القفير ..
ثمرا صار وأعنابا
وأجيال سنابل .. فلنقاتل ..

*

١ – تعامة : ربة البحار في ملحمة
الخلعة البابلية –
٢ – مردوك – رب الحياة

جراح الأحداق في قصائد جورج شدياق

بقلم: محمد زهير الباشا

في مدينة حلب شمالي سورية رأت عيناه النور عام ١٩٤٨م
وتلقى علومه في مدرسة ـ الارض المقدسة واعدادية ـ أغناطيوس الانطاكي ومن ثانوية القديس نقولاوس ـ تخرج ..

ولما عد من أوراق عمره عشرين ربيعا أبحر الى فنزويلا مهاجرا يعمل في التجارة .. فكانت مدينة بورتولاكروس مركزا لتجارته ..
وشرع يقول الشعر منذ انطلقت قصيدته ـ ثورة الجراح ـ ثمّ تدفقت موهبته الشعرية وانتشرت قصائده في الصحف والمجلات العربية الموزعة في أرض الوطن وديار الغربة ..

وفي قبسات من الادب المهجري نفحات من شعر جورج شدياق اختارها وقدم لها الاديب الكبير ـ نعمان حرب ـ .
زينت الغلاف قصيدة الدكتور حرب واستلهمت منها عنوانا لهذه القراءة السريعة فكان : نزهة الاحداق .. ولما أضناني نزيف الجراح في شعره أراني أكتب :
جراح الاحداق .. فهي جمرات بلا رماد .. دائمة اللظى .. مستعرة آلامها .. لكن الدكتور نعمان بنثال عطره في قصيدته تلك حين يقول :

اطرب واشرب خمرة الشدياق
معسولة أشهى من الترياق
تاهت بها الشهباء طابت مغرسا
وسمت غطارفة وحبل سباق

والمتنبي استاذ الشعراء قال مرة وأبدع كما اعتاد :

وما انا الا سمهري حملته
قسرين معروضا وراع مسددا

فهذه حلب الشهباء كم أنجبت وما زالت .. فمنها الشاعر الكبير عمر ابو ريشة .. والسياسي اللامع سعد الله الجابري وبهذا قال د . حرب

من أنجبت عمرا وسعد الله لم
تحمل بغير الماجد الخلاق

ويطالب أن تطهر الارض في يوم آت لا ريب فيه .. يومئذ تطهر اولى القبلتين القدس ، وتتحرر أرض الفداء في غزة هاشم ، وتتخلص الخليل والناصرة من أيدي لصوص التاريخ ، قتلة الانبياء ، ومزيفي الحقائق .. ومروجي الاكاذيب الضالة والمضللة ..

وتقرأ وأنت تستمع الى ضميرك والشاعر ضمير أمة .. وهو يروي عن الشام كعبة الشرق .. فيقول :

قف بالشام ورو النفس من بردى
وانشر على الغوطتين القلب والكبدا
دمشق حسنك لا تذوي مواسمه
وكيف يذوي جمال رفده بردى .. ؟
ان الغزاة على أبوابها اندحروا
وخلفوا عندها الاعداء والعددا
ان التطبع الذي يحميه حارسه
يظل عن سطوة الذوّبان مبتعدا

حضارة اليوم بعض من حضارتنا
أرسى لها قدما أجدادنا العمدا
الشرق مهد الهدى ،والشام جنته
فيها الجهاد وفيها الحسن ،قد
ولدا
حفظ العهود سمات من شمائلنا
يبقى الوفي وفيا أينما وجدا

*

وبآلام محضة .. كأنها الويلات مرسومة في قصيدته .. جرح العروبة جرحي واضعا نصب عينيه ما آلت اليه الاحداث في الوطن .. عارفا العلل ونتائجها التي أضرت .. منها ذلك الجهل والتجاهل، ومنها التعصب والتمزق .. حتى باتت آلامنا مهزلة ، وعزتنا غائبة .. أما الجبن ، والغدر ، والاقاويل ، والكذب ، والبغي ، فهي بعض مما أفرزته ، لبنان ومجازرها ، حتى كاد الشاعر ان يفقد ايمانه بأمته .. ولكن آثر من أمل وتفاؤل بأن للوطن ابناء يعيدون اليه بريق الايمان وطهارة الايام .. ومما يقول في هذه الجراحات :

مواقف عجب أودت بعزتنا
يا ليت شعري كم في الامر من عجب
آخ ينكل - ماشاء العدى - بأخ
أين الروابط من رحم ومن نسب
مأساتنا أصبحت يا عرب مهزلة
انا لنغفل والاحداث عن كثب
هذه المجازر تترى كل آونة
وسادة العرب لم تنشط الى طلب
شأن الجبان بما يندى الجبين له
سفك الدماء : بلا عذر ولا سبب
ان الشقاق الذي ألوى أعنتنا
يسير بالعرب من رزء الى نوب

ويخجل من أوزار الشقاق حتى كاد يفقد ايمانه .. فلا النصح أجدى ،ولا الصمت أجدى .. وليس أمامه الا استنهاض الهمم من مراقدها .. وما الذي يجدي في أمة هذه بعض من صورها الممزقة التالفة ؟ ثم يقول :

تعود بارقة الايمان تغمرني
غداة تصحو - اباء - امة العرب

وهواه .. وقلبه وهمومه .. أقداح ملأى بالزفرات .. تعصف به رياح الغربة وتمزقه صبابة الشوق الى ربوع الوطن :

هي كأسي وخمرتي وشجوني
فابعدي عن فمي كؤوس الراح
لم يحوم قلبي على بنت غرب
كيف أهوى ؟ والحب غير متاح
ليس يروي من نبعها لي فؤاد
لم تكن يوما عذبة الاقداح
يابنة الشرق لم أزل عربيا
فاطمئني ما دمت لحن صداحي
من سيف دولتها أمير للعلى
من شعر أحمدها خلود باق

*

ان القبسات التي يصدرها الاديب الوفي : نعمان حرب ، رمز للمجهود المتواصل ،وعنوان غني للجهاد في ميدان الفكر والادب .. فهو الذي يختار القصائد ويقدم لها ويحمي ذمار الشعر العربي في المهجر .. وجاء تصميم الغلاف بريشة الفنان حسان أبو عياش يحمل في ثناياها رسوخ حلب وقلعتها .. وقد غادرتها جماعة من الطيور .. ففي ملامحها اختصار للرحيل وللعودة بعلامات معبرة .. وكانت براعة الفنان طلال علم الدين في خطوطه دليلا على جودتها وبراعتها ..

القبسات التي ضمت قصائد الشاعر جورج شدياق .. بلغت خمسين ومئتي صفحة من القطع المتوسط باخراج فني وذوق رفيع

*

مقدمة هذه القبسات .. تأريخ وخبرة .. كتبها الاستاذ الشاعر: عبد الله يوركي حلاق .. صاحب مجلة الضاد ، التي تصدر في حلب .. أقرأ معي كيف يعرف النثر بلغة الشاعر ، كما يعرف الشعر وهو يعزف على قيثارته فقلمه شاعر فيما يسطره قلبه :
(فالشعر ارقى .. لأنه أكثر تأثيرا في النفس والخاطر ،يجمع الصورة والنغم والخيال .. في حلة البقاء) ..ويدافع عن الشعر ، والشعر ترجمان أمين فيقول:
(انه آهات المولهين وأنين المعذبين ويفجر ثورة المظلومين المكبلين بسلاسل الجور والطغيان) ..

ومن بليغ ما اورده قوله عن الشاعر الجدير بحمل هذا الاسم ..
(متفنن بارع يغمس ريشته بذوب قلبه ليرسم آلام شعبه وانتفاضة أمته في سبيل

الحرية والكرامة والعيش الهنيء) ..

والمقدمة هذه خلاصة معرفة ودراية عن الشعر والشعراء وتأريخ من خبر للشعر العربي في كل عصوره .. يذكر فيها كيف تألق الشعرثم ركد وانتعش وكيف اختنقت الافكار في العصور المظلمة فانصرف الشعر الى الالغاز والتورية والطباق .. ولما يمم الاديب عبد الله شطر شعراء الاندلس (الذين اخترعوا الموشحات التي ستبقى تثير اعجاب أجيالنا الصاعدة ، راح ، يحلق قلمه في المهجر الامريكي .. ويتحدث عن الرابطة القلمية والعصبة الاندلسية ..

كما تحدث الاديب عبد الله عن الدكتور عبد اللطيف اليونس : الاديب والصحافي والسياسي ، أنه صاحب رسالة (يؤديها باخلاص ، ويغذيها بعرق روحه ، وعصارة فكره ، ويذود بها عن وطنه وعروبته ولغته) ..

*

وفي كلامه عن الشاعر جورج شدياق، يروي الاستاذ عبد الله عن شعره :
(واننا من مدرسة شعرية واحدة يسميها الناس مدرسة x(شعراء الديباجة والصياغة) وهي في الحقيقة مدرسة الاصالة والجزالة والسلاسة والتألق الفني) .
أما النمط المستورد من الشعر ، فيعلق عليه (أنها انماط لا تخلو من تجهم وشذوذ وابهام) مستشهدا بقول عمر ابو ريشة الذي طالب (بوقف عملية التخريب في الشعر العربي) .

ويحدد الاستاذ عبد الله جمالية الشعر بأنها (تشرق في وجوه المعاني ، وحلاوة الالفاظ وأنس الانغام ، ووحدة التلاحم في القصيدة الواحدة) ..

ان شعراء الاغتراب يعانون من لوعة الحنين .. فتتفاعل الاحداث ، لتتقد جمرات فائرة في ثنايا ابتساماته

ويهتز معها التوهج لمعات واخزة في ضمير الانسانية .
قال برنارد شو مرة : تحكم على الفنان من خلال أعلى ذروة يبلغها وتحكم على المجرم بأدنى قاع يهبط اليه ..

وتجد أمام الشاعر جورج شدياق قمما تطلع اليها .. وصل الى ذراها وهو يرنو بأبصاره الى ان يحلق دائما في أعاليها .. (لا يتهيب صعود الجبال) فقد تغنى بالشام .. وجعل قصيدته ذات عنوان قدسي : كعبة الشرق ، وهو يشيد بجهاد أهل الشام وأنها كانت مثوى صلاح الدين الايوبي من سماته الفنية في شعره أنه ينهو منحى الاصالة العربية في عالم الشعر ..ويحرص الحرص كله على ان تأتي قصيدته متماسكة البنيان .. مع مراعاة السهولة والحفاظ على اللمعة الفنية ..

لهذا ابتعد عن اي مدرسة ادبية قادمة زورا وبهتانا الى دنيا الكلمة الملهمة .. فلم يقبل بما يسمى (بالرمزية والسريالية) حارب كل الغموض بأزيائه وضبابية وانحراف الرأي عن صوابه .. فلا ابهام ، ولا استلهام ، ولا استغراق ، ولا اغراق ، بل وضوح وجرأة في ابداء الرأي وبالعبارة السمحة

القافية لديه عزيمة لا تتلكأ على محطات الوقوف .. فهو لا يبحث عن بريقها بقدر ما يبحث عن أصالتها .. فكانت هذه القوافي محطات للنفس الشعري الملتهب .. وكأن بينهما (مودة ورحمة) فأعصابه تثور في حنايا القصيدة وزواياها تفتش فيها عن بسمة هادئة .. فلا تعثر عليها الا حين ترتاح لديه قافية الشعر، ففي النوارس المهاجرة .. يتضح لك موقف جورج .. من الشعر ..

أطعم القلب كلمة والروحا
ودع الشعر في المدى مسفوحا
أسرف النقد والخطوب جسام
وغدا مبدع القريض شحيحا
لا تقل باطل الاباطيل شعرا
قد غدا بعد لأية تلميحا

وفي جمرات محرقة يعاني منها الشاعر وهو أصيل في المشاركة والتواصل

لم يقل شاعر قصيدته الحمراء ان لم يكن مدمى جريحا
كل جرح من شعبنا بيت شعر
يلثم القلب والحجا والروحا

وما هو الجرح ؟ وما هو الحرف ؟

انما الجرح ان تكلم حقدا
يجعل الحرف للطغاة ضريحا
أيها العابثون بالشعر رفقا
قد كفا نكسة العصور كلوحا

وللشعر وظيفته المنفسية :

يزرع الحلم في عيون نأت يو
ما وما شئن مرغمات نزوحا

وما الذي حدث للشعر من تيارات جرفته :

فانتهى الشعر وانزوى خجلا منا
وقد أصبح اليراع قريحا
نبذ الحرف ثوبه وتعرى
جانحا أمسى لا يمكنه الجنوحا
ومشينا في مأتم الضاد حزنا
وبكينا البيان دمعا (سحوما)
يشتكي الفكر من نزوح القوافي
وهو من علم القوافي النزوحا
أمن الصون يوأد الشعر طفلا
لم ير الغش بعده والفصيحا
حاجة الجيل دون خطب جسيم
أدب ينفح الطموح طموحا

ولبنان .. شكوى الارواح من غائلة العبث والشيخ والفجيعة

لبنان أرزك لم تزل شكواه في
أذن الكروم ومسمع التفاح
عبأت دني من عصير بنانها
فشكت من الغصات أكؤس راحي
ان أنسى لن أنسى تراب عروبتي
أودعت في جنباته أفراحي

وما الذي يعبث في هذه الارض ويمزج كؤوس الراح بالظمأ الذي يصدح - على أنقاض بئر -

مصير أهلي فوق الارض يؤلمني
ترمي الحقود بهم في جوف بركان
الضغن يزرعهم .. الضغن يحصدهم
لا خير في حبات أضغان
رأيت عباد مال حين جئتهم
كل يسير حثيثا اثر أدران

ما ان وصلت الى نزيف الجراح في قصيدته المعنونة :
جرح العروبة جرحي ..
حتى قرأتها ودماء الصلب يندي جبين العزة ، وقلت .. في نفسي محاورا مجادلا ووقفت معها خصما عنيدا .. اذ كيف أكتب عن العروبة والجراح على وجهها ..مجازر وأكاذيب واطلال .. وويلات ..
وكثيرا .. ما توقف القلم .. والغصة في مداده ..
وأنا أتلو بشغف قصائد المتنبي ..
وقصائد مشاهير القمم في الشعر والنثر دون أن أستطيع تلبية النداء بالكتابة ،
أكون جاحدا ناكرا لجميل الفن في الشعر لو مزقت اوصالك أيتها القصيدة ..
جرح العروبة جرحي
وفي مطلعها يقول الشاعر جورج شدياق :

هبي من الصمت يا أشعار واصطخبي
فقد نبت بصوابي أمة العرب

ويعدد مصائب هذه الامة التي مزقها الجهل ، وألهب حناجرها التعصب ، ونكل الاخ بالرحم والنسب ، حتى باتت مآسينا مهزلة ، ومجازرنا تاريخ الجهالة والغدر ..

وينهي قصيدته المدماة - بنوع من أمل .. يود أن يجعله نورا وبارقة من رجاء :

يا عرب عفوا اذا مج اليراع دما
ليس الغضاضة من طبعي ومن أدبي
تعود بارقة الايمان تغمرني
غداة تصحو - اباء - أمة العرب

ولا بد لهذه الصحوة من ان تكون صحوة ضمير ..كما يصبو اليها الشاعر..
وكل من يمتلك ضميرا .. فالشاعر كما قلت : ضمير أمة .. في صحوها وعذابها ..

محمد زهير الباشا

أغاني الحجر

شعر: محمد غازي التدمري

– ١ –

حلم

حجر .. حجر ..

حجر ..

ويدخل في المدى آيار

حلما ماطرا

من أحمر ورياح

يا أيها المكتوب في بوابة

العمر المندى بالكفاح

قم وامتشق سيف الحجر ..

وازرع مواسما للصباح

– ٢ –

قدوم

قادما .. قادما بالحجر ..

خطوة .. خطوة

خارج الوقت يمشي

اتساع المدى

بين عينيه أضيق

من خط كفيه

من سنة الحدقة

في شرايينه غيمة

أمطرت ..

قطرة ..

قطرة ..

فتغير رسم المدار

وأعشب تقويم خارطة

وحدود بلاد

أقيمت على جسد المشنقة ..







– ٣ –

تيمم

قم تيمم بالحجر

واغتسل ..

بالطهر ..

بالعشب ..

المطر ..

واستحم الآن ..

بالنبض .. الشجر

وتشبث يابن حيفا ..

بالقضية ..

وامضي في دروب الخطر

وأتلق شمسا وفجرا

وتمسك بالهوية ..

وترنم بالنغم

نغم الحرية الاغلى

تحرر بالحجر ..

فالحجر ..

في الجهات المقفله

فيه مفتاح الزمن

والحجر ..

في متاهات الدروب الموحله

بوصلة ..

باتجاهات الوطن ..

– ٤ –

رجم

اركب الموج ريحا

وحمل شراعك

من كل زيتونة ..

حبة ..

حبة ..

وامنح الليل جفنيك والقمر

انه موسم الرجم

لملم حجارك

فالغار

كلل هامات

من قذفت أكفهم حجر..

– ٥ –

طوفان

لا مسي جبهة الصبح وانشري

نسمة

من مدار الندى

ثم طوفي بنا غيمة

وامطري ..

فوق مقلاعنا

جمرة ورؤى ..

– ٦ –

صحو

في يد الطفل احتراق

وحنين في المحاجر

بعيون الصحو يأتي

زارعا صحوه في الأرض بيادر

وعلى بوابة الأفق شفاه

قبلت جرح الوطن

فاستحال النزف نورا ..

وبشائر ..

– ٧ –

سنابل

يا غيوم الحجر انسكبي

نتوسد

حرير الزنابق

نفترش هذه الارض

دفئا ..

وحبا ..

وبنادق ..

نغني لطير الحجارة عند النهار

نبض أغنية

من ربيع ..

وزيتون ..

ونار ..

ونجيء فرادى .. ومثنى

عراة .. حجيجا ..

لباس دمانا قميص قنابل

في الكف خمس سنابل

تحمل زوادة من حجر ..

– ٨ –

موشح

هي الشهادة صبوة ليل

يعانق وجه الصباح

هي الأرض تبنى لأطفالها بالسنابل

بيتا توشى بدم الشهيد

فعلى دندنات السلاح

ترائت قوافل أطفال قبية

طالعون

يبارك خطوهم السنديان

ويحملهم أقحوان الرصاص

لفجر

تعلق في صخرة القدس

رقص سماح

– ٩ –

شهادة

لا تقولي:

مت يا أمي

وغني لحضوري

لابسا ثوب الكفن

وليكن عذر غيابي

للتي أهوى

بأني ..

قد تزوجت وأنثاي ..

الوطن ..

محمد غازي التدمري ـ حمص



قال حبيبي لي : أتحب زقزقة البلابل
قلت نعم ، في كنف سنديانة عتيقة
او ارزة متمردة ماردة .

* قلت لنفسي : لفني الشيب باكرا
قالت : شيب جبل امرد يسقي رحاب
السهول .

* أجمل الاشعار ما قالته عاصفة
هوجاء لصنوبرة على كتف واد سحيق

* قالوا في الافق " انه خط
التلاقي بين الارض والسماء
قلت : " أهكذا تتحدد الافاق ؟

* قبلت وردة حمراء ، فكانت قبلة
الحرية .

* النحلة التي تمتص أريج زهرة
نديية . لا تعود اليها ثانية .

سُورة الجَماليّات

تيسير بكسراوي

* ليست الفضيلة في أن نتجنب الرذيلة ، بل في أن لا نشتهيها "

"برنارد شو "

- ١ -

ألف كلمة تتثاقل عبر خضم الذاكرة ، وتنجرف كعاصفة هوجاء تغوص في أعماق أعماقي .. ثم تولد من جديد ..

ربما كانت كلمات الحنين ، حنين الصبابة المشحونة برقائق الاوجاع المضنية ، او ربما كانت كلمات الفقراء المعدمين .. حقيقة .. لست أدري .. ؟

أذكر حينما لملمت أدراجي وأدركت ذاتي وعلقت أوجاعي على صليب عبادتي وغدوت أعلن مرثيتي فوق كف القدر المهزوم كعدو يلاطم بقايا زجاج مكسور على نافذة الشوق المهزوزة .

أنتم ..

أنتم أيها الفقراء ، يا أنشودة العهد القديم ، عهد العبودية ، عهد الانحطاط تعالوا نرسل كلماتنا عبر أثير الزمن المضطهد ، زمن الحضارة ، زمن الرثاء

أنتم .. يا من تعيشون على هامش خريطة مقتولة في زمن الاصفاد المقوسة ،تعالوا نلملم أدراجنا ، وندرك ذاتنا ، فان قافلة الاثرياء تعج بكلمات جوفاء ملوّها أحجار صماء بكماء.

آلاف مؤلفة من الكلمات تعشش في أحشائي تنتظر سويعات الوداع لتنطلق معلنة أن رحيل يسوع لم يكن رحيلا أبديا ، وانما كان فصلا لولادة جديدة ، في زمن الشحوب، زمن الرثاء ..

آه .. ما أصعب وتيرة الانغماس في زمهرير الذاكرة ، حين تعلن ولادة في أنبوبة التجارب والمختبرات ، هذا هو زمن العقم والمراثي ، يا شقيقة دربي الطويل .

" لأني أحمل بين جوانحي شهوة لاصلاح العالم "

" شلي "

نسوة تجمهرن .. أمام نافذة مسكونة بالاشباح الغابرة ، شبح الولادة ، ولادة الاصنام المتكسرة فوق بوق اسرافيل .

آه ما أصعب الولادة في زمن العقم والغباء حين يعلن رجل أنه الخالق وهو المخلوق وحين يعلن طفل أنه كهل في حكمته وفلسفته المكبوتة ..

ما أقسى الرضاعة في زمن المجاعة ، حين تعلن امرأة أنها سفينة النجاة ، سفينة نوح عليه السلام ، ما أقسى الرضاعة يا أحبتي في زمن المجاعة .

آه ما أصعب الولادة ، وما أقسى حديد الغباء ، في زمن الحضارة ..

آه ..

آه ..

ما أصعب الولادة ..

تتراكم الكمات في حجرتي وتتقاذف اللعنات في صمتي المسكون .. الى أين ؟ الى أن أنت ذاهبة يا كبوة السنين .. ؟ الى أين..؟

انتظري هنيهة يا شقيقة دربي الطويل لأني ما زلت أبحث عن ذرة غبار في زمن العراء .

لأني ما زلت أبحث عن درب طويل ، خلاصة الجنون أو الموت في زمن الغباء ، لأن الفلسفة ، فلسفة العصر ، قاصرة عن فهمي ، لأن دربي أبعد من دروب الله والشيطان

تيسير بكسراوي
اللاذقية

يا بلادي.. يا سدرة المجد

شعر: هزاع كشيك

لا تقل قد هوى ومل الكفاحا   انه النسر لا يهاب الجراحا
كلما حث للهجوم .. لواء   سبق الركب ركبه واجتاحا
رابط الجأش في هجوم وفر   كجنون الاعصار يأبى مزاحا
ما تزال السماء تخشى عنيدا   ملأ الجو ضجة .. والساحا

*   *

قل لأم قد ارتوت من دموع   ونساء يندبن ليل صباحا
أكره المجد أن يكون بكاء   فرثاء الابطال ليس نواحا
فدع اللوم أنت في دار خلد   واهجر اللغو قد مللنا الصياحا
ان عهد البكاء كان قديما   يوم كان النواح فيه مباحا
قد صهرناه قوة وصمودا   وأحلناه فلذة وصفاحا

*   *

كنت نسرا وما انحنيت لغاز   ملأ الارض فتنة واستباحا
قد أعدوك كنت أكرم حاد   لعراك وتمقت السفاحا
فترى في اليرموك خير افتداء   وتنادي حطين فجرك لاحا
فجميل العزاء هذا الخلود   وجميل العزاء يهدى وشاحا

*   *

يا بلادي يا سدرة المجد يا أخـ   ـت الثريا يا معقلا رماحا
كم نزلنا منازل الأنس منها   ورشفنا رضابها والراحا
ولهونا في روضها فنسينا   الصحب والاقرباء والأتراحا
أنت أم الشهيد فاحتضني   جيلا من الدهر وسديه الساحا

شعر :هزاع كشيك

قراءة في مجموعة قصصية

"يوم لرجل واحد"

بقلم: الدكتور أحمد محمد قدور

التجار وأصحاب البطون الممتدة الى أمام كشرفة ، والمديرون ومعاونوهم ووكلاؤهم من طرف ، والحمالون والفقراء والمثقفون والموظفون والاطفال من طرف آخر ، هم أبطال المجموعة القصصية الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب ، .. لمؤلفها الدكتور احمد زياد محبك ، وهي تتضمن خمس عشرة قصة ، تحمل المجموعة عنوان احداهما ، وهو : " يوم لرجل واحد " ..

وفي استطاعتنا ان نرى بوضوح وحدة العالم الذي تقدمه المجموعة ، فهو عالم البائسين المسحوقين الفقراء، يستبد فيه الاغنياء الاقوياء الكبار، وهي وحدة غنية بالتنوع ، تقدم أشكالا مختلفة لذلك الصراع بين هذا الطرف وذاك ، وأوضح ما نرى ذلك الصراع في ثلاثة أشكال :

- التجار والفقراء
- المديرون والموظفون
- الكبار والاطفال

ان توفيق بك في قصة " يوم لرجل واحد " تاجر بناء ، يستبد بمدرس بسيط وخطيبته ، يبحثان عن مأوى لهما . .. ويبيعهما دارا ، بزيادة في السعر، وباسلوب فيه خداع وكذب ، كما يستبد صالح صاحب مكتب عقاري ويجعله وسيلة لتحقيق أغراضه ، كمايشتري دارا من رجل درويش ، ليخلي المستأجر بأسلوب فيه احتيال و خداع ، وهو قبل ذلك كله من أصحاب البطون الممتدة الى امام ، والتي لا تمتلىء ، وهو يصدم طفلا بسيارته ، غير عابىء ، ولا يفكر في اسعافه، ثم يمضي بعد ذلك ليمازح صديقه ، مزاحا سمجا ، بل يمضي ليتناول غداءه في مطعم فخم ، ويضاجع مومسا في الظهيرة، لينسى ما فعله ، ويحتسي في المساء الخمرة ، ولا يحرك موت الطفل شيئا من مشاعره . . وأخيرا وقبل مضي اربع وعشرين ساعة على موت الطفل ، يدفع لوالده عشرين ألفا وتمحى المشكلة ، وكأن شيئا لم يحدث ، ليتابع بعد ذلك اعماله في تجارة البناء .

وتظهر هذه الصورة ثانية في شكل آخر ، نراه بوضوح في قصة " ثمن صحن الفول " حيث نرى " الحاج رشيد " وهو تاجر كبير في سوق الهال ، حيث تباع الخضر والفواكه ، يستخدم عنده الحمالين وهو يستبد بأسرة أحدهم ، حيث يؤجره غرفة على سطح مخزنه ، ويسلبه نصف أجرته ، ويفكر في الاعتداء على زوجته وهي التي كانت من قبل احدى خليلاته ، ثم زوجها لذلك الحمال البائس ، وهو لا يتورع عن التفكير بتدنيسها ، بعد أن طهرها ، بل انه ليحس بمتعة في ذلك، وهو الكهل المتقدم في السن .

ونرى الحاج رشيد في قصة " ثمن صحن الفول " يمضي الى أبعد من ذلك فهو

يسعى الى حرمان ابن ذلك الحمال الفقير من الدراسة ، وابقائه حمالا صغيرا عنده ، ليكبر ، ويبقى حمالا تحت امرته ، يستغله ويغريه بأجر زهيد ، ويخدعه بثمن صحن فول يقدمه اليه ، لكي يصرفه عن البيت ويخلو له الجو ، فيعتدي على أمه .

ومثلما صدم توفيق بك الطفل بسيارته ومضى غير عابئ وادعى ان صالح هو الذي يقود سيارته ، واستطاع أن ينجو بنفسه ، كذلك نجد ههنا الحاج رشيد قد سخر أحد الحماليين عنده ، وهو صبيح فيقدم على قتل والد ذلك الطفل البائس ، ويبقى هو بريئا ، في الوقت الذي يفخر فيه صبيح بقتله زميله الحمال دفاعا عن معلمه الحاج رشيد .

ونرى بعد ذلك صداما واضحا بين عالم الاطفال الانقياء الابرياء ، وعالم الكبار المستبدين العتاة ، في قصة (حبات العنب) .

ولكن ذلك الصدام ليس بين الكبار والصغار ، من ناحية العمر او الحجم ، وانما هو صدام بينهما ، من ناحية الغنى والفقر ، وقد اتخذ العمر والحجم شكل رمز للمضمون .

ان الطفل البرئ أحمد الذي يبيع العنب على قارعة الطريق يفرح بلقاء زميله في المدرسة سامح ، وهو يقعد في سيارة فخمة ،ويتأمل تلك السيارة ، ويحلم بركوبها ، ولكن يد والد سامح القاسية تبدد حلم احمد ، وتفرق بينه وبين زميله سامح ، وتقطع ما بينهما من براءة مشتركة ، ونقاء طفولي جميل ، لتؤكد سيطرة ذلك الاب ، وقسوته ، على الفقراء ، وهو تاجر البناء الغني ،

وفي موقف طفولي آخر برئ يظهر دمار الطفولة ، في عالم الفقراء ، وانسحاقها تحت وطأة الفقر ، الذي يضطر الاطفال الى العمل وهم في سن الطفولة ، لمساعدة آبائهم ، بل يضطرون الى تمزيق احلامهم ، والتخلي عن العابهم ويجبرون على الحرمان من ممارسة طفولتهم ، ليتحملوا المسؤولية وهم صغار .

في قصة " في وقت مبكر " نرى طفلا يجمع في حصالته مبلغا من المال وهو يمني نفسه بشراء دراجة ، ويحلم بها ، في النوم وفي اليقظة ،وحين يحدث والده في أمر شرائها ، يحدثه والده حديثا طويلا ، فيقتنع بأنه ليس من حقه شراء دراجة ، لأنه ولد فقير ، ولأن أباه فقير ، ثم يحمل النقود ويقدمها الى أبيه .

ومثل هذا الموقف من الطفل موقف ايجابي بناء ، وهو موقف تضحية عظيمة ، ووعي كبير ، يتحملها الطفل ، بدلا من أن يلعب بألعابه ، او يحقق أحلامه .

وهو موقف نراه متطورا وناميا في قصة " الممرضة " وفي صورة واعية ، ومدروسة جدا .
ان أمل بنت استاذ فقير بائس كان يكتب الشعر ثم أقلع عنه وهو يعيش في قبو تحت الارض ، وابنته أمل صبية في المرحلة الثانوية ، تخرج كل يوم بعد الظهر من البيت ، وهو يحسبها تذهب الى زيارة صديقتها منى ، او لقاء عشيق ولكنه يفاجأ أخيرا و هي تعلمه برغبتها في أن تعمل ممرضة كي تساعده ، وتخبره أنها كانت تخرج كل يوم الى عيادة والد صديقتها منى ، كي تتدرب عنده .

وهكذا يحمل الاطفال الفقراء المسؤولية مبكرين ، يقفزون من الطفولة الى الشباب ومن الشباب الى المسؤولية ، متخلين عن أحلامهم الطفولية ، ليتحملوا عبء الحياة والفقر .
ان أمل نموذج اخر للبطل الايجابي البناء الذي يتجاوز ظروف القهر والفقر

ويكافح في وقت مبكر لينقذ اسرته ويساعدها على مواجهة ظروفها ويحقق تحديا كبيرا وهو يحمل الارادة والتصميم

ان جيل الاطفال في القصص جيل واثق متفائل ، يتحدى الفقر ، ويعمل على بناء المستقبل ، على الرغم من انه وريث جيل من آباء ضعفاء فقراء بعضهم خائر عاثر لا يعرف ما يفعل .
ونحن نلمس من خلال الطفل نبوءة مستقبلية تدل على تفاؤل لا تحمله الاسماء فقط مثل اسم امل ، وانما يحمله الاطفال ايضا .

وفي قصص اخرى لا نرى اطفالا ولكننا

نرى كبارا يحملون نقاء الطفل ودهشته امام الاشياء ، ولا سيما اشياء الاغنياء.
ان الاستاذ في قصة " دعوة خاصة" يدهش امام مظاهر الغنى والترف في بيت صديقه وقد دعته زوجته ليساعدها على حل الكلمات المتقاطعة ، فيسلب أمامها ليس لأنها امرأة فقط ، ولكن لأنها امرأة غنية ، ويغدو طفلا صغيرا ، يخضع لأوامرها .

ولكن اذا كان ذلك الاستاذ يملك براءة الطفل ونقاءه ، فانه لا يملك مثله - كما رأينا في القصص السابقة ، ثقة الطفل بالمستقبل ، وعزمه على تحدي العقبات ، وتحقيق البناء .

ان الاستاذ منخور من الداخل ، يحمل عجزا كبيرا ، بسبب من فقره وبؤسه ويسبب انبهاره ايضا امام غنى الاغنياء ، ولكنه في الاحوال كلها نموذج سلبي ، ومدان ، وما هو الا صورة للمثقف العاجز تقابلها على الفور وفي القصة نفسها ، صورة لأخته الفقيرة ذات الزوج الفقير التي تثق بابنها عصام ، وتؤمن ان الدراسة بالنسبة الى الفقراء هي طريق الخلاص .
تقول الاخت في القصة لأخيها :
" يا أخي الدراسة لنا نحن الفقراء هي طريق الخلاص " ..

وههنا نرى ثانية ان الاطفال الحقيقيين الصغار جيل المستقبل هم الذين يحملون في الحقيقة امكانيات التحدي والبناء وتجاوز جيل عاجز مقهور واذن صورة ذلك الاستاذ الخائر تدحضها صورة ابن اخته الذي سيتحدى الفقر وسيحمل امانة العلم ومسؤوليته ، بشكل أفضل مما حملها خاله .

وهكذا ينبثق التفاؤل من خلال اليأس ، وينبع النور داخل الظلمة ، وتتفجر القوة على الرغم من الضعف المحيط .
أما المديرون ومعاونوهم ووكلاؤهم فهم رمز للاستبداد المطلق ، وصورة للطبقة المترفة ، ومثال لاساليب الختل والسيطرة على الموظفين الصغار ، وهؤلاء هم الضعفاء المستعبدون ترهقهم الوظيفة ومسؤولياتها ، فاذا أوضاعهم الاجتماعية سيئة واذا أحوالهم المعيشية دون الوسط ورغم تقدمهم في العمر وخدماتهم الوظيفية فهم ما يزالون تحت سيطرة المديرين واستبدادهم .

ان المدير ومعاونه في قصة " خصام" متفقان على كل شيء ويسيران امور المديرية بما يحقق مصلحتهما ، ولكنهما يتظاهران بالخلاف أمام المستخدم

وفي قصة " المرآة " يظهر ذلك الموظف العجوز وقد مضت عليه عشرون سنة وهو في وظيفته حتى الكرسي الذي يقعد عليه لم يتغير وفي قصة " الدار الجديدة يظهر موظف اخر يمضي يومه في قلق لأنه وصل الى المديرية متأخرا وهو يتوقع بين لحظة واخرى استدعاء المدير له كي يحاسبه على التأخير وفي النهاية يتم استدعاؤه بوساطة الهاتف ولكن ليس الى غرفة المدير ، وانما الى المستشفى فقد نزل ابنه الى الشارع ليلعب بالدراجة وصدمته سيارة ، اما في قصة " حكاية الولد " فيظهر ذلك الموظف البائس الذي يملأ الجداول والسجلات في المستودع وهو يمضي الوقت بين النائم واليقظ يشد جفنيه ويفتح عينيه ويحرق السكائر ويطلب فناجين القهوة فقد أرهقه العمل الرتيب المتكرر . ويحاول ان يجد لنفسه خلاصا من عالمه الضيق بالشعر ، ولكن رئيس الدائرة يحضر له عقوبة يرفعها الى المدير ، ويقطع طريق العقوبة معاون المدير لا ليعبر عن حبه لذلك الموظف او عطفه عليه ، وانما ليكسبه الى صفه ،فهو كما يبدو في خصام مع المدير .

ودائما نرى اولئك الموظفين فقراء بائسين . وبذلك فالوظيفة مظهر آخر من مظاهر الفقر والبؤس بل هي مظهر ايضا من مظاهر البراءة والنقاء والطفولة

وهكذا تتلاحم المحاور الثلاثة : الفقر والوظيفة والطفولة ، لتواجه محاور ثلاثة اخرى ،هي : الغنى والادارة ، والكبر ، ويحدث الصراع بين هذه المحاور وتلك .

وفي المجموعة قصص أخرى تمثل هذه المحاور في صيغ واشكال جديدة ، ولكنها لا تخرج عن معالجة موضوع الطفل والفقر ومنها قصة " المعاون الصغير " وقصة " رجل بين المسافرين " .

القصة الاولى هي " يوم لرجل واحد " وقد كتبت بأسلوب السيناريو، فهي تتألف من لقطات متتابعة ، لا يعتني فيها المؤلف بوصف الزمان او المكان او الشخصيات ، ولا يدقق في ذلك أبدا ، وانما يكتفي بالاشاره السريعة المعبرة، ثم يستفيد بعد ذلك من اسلوب الحوار ، فيعتمد عليه بشكل كلي ، فيحول القصة الى سيناريو ، وهي صالحة لتحويلها الى تمثيلية قصيرة ، والحوار فيها قصير، ومركز ، بعناية ويعبر عن الشخصيات .

والقصة الثانية هي " ثمن صحن الفول " وقد كتبها المؤلف بأسلوب روائي ونراه يصف ويسهب في الوصف ، ويدقق في الجزئيات ، ويتتبع الزمان والمكان بعناية ، ويصور الشخصيات ، ولايعتمد على الحوار الا مرة أو مرتين.

وهكذا فالقصة الاخيرة مختلفة في بنائها عن القصة الاولى مع أنهما متفقتان في الموضوع الذي ذكرناه سابقا بل متشابهتان .

هل هذا تنوع في الشكل فقط ؟ الحقيقة تنفي ذلك ، فالشكل في كل قصة منسجم ومتفق مع مضمونها الداخلي .

القصة الاولى " يوم لرجل واحد" تدور حوادثها في يوم واحد ، من الظهيرة الى الظهيرة ، وبطلها تاجر بناء ،يتحرك بسرعة كبيرة ، من مكان الى مكان ، متنقلا بسيارته ، يفعل هنا، ويتصرف هنا، يصدم طفلا ، ويبيع دارا ، ويعاشر مومسا ، يشرب الخمرة في ملهى ويزور اهل الولد الذي صدمه بسيارته ، ويدفع دية ، ثم يرجع الى مشروع البناء ليتابع عمله ..

القصة سريعة ، متحركة ، الحوادث فيها متلاحقة ،وهي تنسجم مع شخصية ذلك التاجر القادر على الفعل في كل مكان بما يملك من مال وسيارة ووسطاء ، والكلام وحده يكفي لتحقيق مايريد ، ولذلك كان الحوار كافيا ، ولا وقت للتفصيل ، والوصف ، والافعال هنا كثيرة ومتلاحقة ، وكافية لبناء الحدث .

اما القصة الثانية " ثمن صحن الفول " فالفعل فيها واحد فقط ، وهو تفكير الحاج رشيد في اغتصاب زوجة الحمال ، ومحاولة هذا الحمال قتله ، واقدام حمال آخر على قتل زميله وانقاذ معلمه ، والطفل ابن الحمال ، يكتشف ذلك كله ، ويقع في دوامة ، ويسقط مغشيا عليه .

الفعل هنا ،واحد ، وهو بطيء، وتسبقه حالات كثيرة من التوتر والانفعال والتفكير والتخطيط ، ولا بد من كشف الشخصيات ، والدخول في عمق كل شخصية، وتوضيح ماضيها ،ولذلك كان لا بد من السرد والوصفو التصوير والحوار وحده لا يكفي .

وهذه القصة بنيت في شكل الاصوات المتعددة ، والشخصيات المختلفة والفعل الواحد ، فكل شخصية تتحدث عن فعل واحد ، او موقف واحد ، ويتكرر الحديث عنها ، وينكشف الحديث عنها ، وينكشف اختلاف وجهات النظر بين الشخصيات مع الاتفاق في الفعل .

واتبع المؤلف في قصة " الممرضة اسلوب المرآة ، فصور شاعرا كهلا ، ترك الشعر ، وسئم الحياة ، وملها ، بسبب فقره ، ثم أدخل عليه شابا ، في نصف عمره ، يهوى الشعر ، ويعجب به ، ويمثل شبابه ، ويشبهه يوم كان شابا ، وكأن هذا الشاب امرآة يرى فيها ذلك الكهل ماضيه .

وفي عدة قصص اتبع المؤلف اسلوب الحلم ، وكان احيانا يبدأ قصصه بالحلم ثم يجعل القصة او نهايتها مفسرة له ، وهي أحلام متنوعة ، وان كان بعضها غير موفق ، وحظه من طبيعة الحلم قليل ، كالحلم في قصة " يوم لرجل واحد " ونرى ان الحلم احد الخيوط التي تمنح القاص وحدتها .

وهنالك خيطان آخران ينسجمان في المجموعة عنصروحدتهما ، وهو تشابه بعض الشخصيات ، ونموبعضها الاخر .

وفي قصة يوم لرجل واحد ، يظهر شاب وخطيبته ، يشتريان من تاجر البناء دارا ، والشاب مدرس وخطيبته معلمة، ثم نراهما مرة اخرى في قصة " دعوى خاصة " او نرى شبيبها بهما على الاقل ، فنحن نرى مدرسا ، وزوجة موظفة ، وفي هذه القصة نسمع عن بنت صغيرة ما تزال في

القصة الاولى هي " يوم لرجل واحد " وقد كتبت بأسلوب السيناريو، فهي تتألف من لقطات متتابعة ، لا يعتني فيها المؤلف بوصف الزمان او المكان او الشخصيات ، ولا يدقق في ذلك أبدا ، وانما يكتفي بالاشاره السريعة المعبرة ، ثم يستفيد بعد ذلك من اسلوب الحوار ، فيعتمد عليه بشكل كلي ، فيحول القصة الى سيناريو ، وهي صالحة لتحويلها الى تمثيلية قصيرة ، والحوار فيها قصير، ومركز ، بعناية ويعبر عن الشخصيات .

والقصة الثانية هي " ثمن صحن الفول " وقد كتبها المؤلف بأسلوب روائي ونراه يصف ويسهب في الوصف ، ويدقق في الجزئيات ، ويتتبع الزمان والمكان بعناية ، ويصور الشخصيات ، ولايعتمد على الحوار الا مرة أو مرتين.

وهكذا فالقصة الاخيرة مختلفة في بنائها عن القصة الاولى مع أنهما متفقتان في الموضوع الذي ذكرناه سابقا بل متشابهتان .

هل هذا تنوع في الشكل فقط ؟ الحقيقة تنفي ذلك ، فالشكل في كل قصة منسجم ومتفق مع مضمونها الداخلي .

القصة الاولى " يوم لرجل واحد" تدور حوادثها في يوم واحد ، من الظهيرة الى الظهيرة ، وبطلها تاجر بناء ،يتحرك بسرعة كبيرة ، من مكان الى مكان ، متنقلا بسيارته ، يفعل هنا، ويتصرف هنا، يصدم طفلا ، ويبيع دارا ، ويعاشر مومسا ، يشرب الخمرة في ملهى ويزور اهل الولد الذي صدمه بسيارته ، ويدفع دية ، ثم يرجع الى مشروع البناء ليتابع عمله ..

القصة سريعة ، متحركة ، الحوادث فيها متلاحقة ،وهي تنسجم مع شخصية ذلك التاجر القادر على الفعل في كل مكان بما يملك من مال وسيارة ووسطاء ، والكلام وحده يكفي لتحقيق مايريد ، ولذلك كان الحوار كافيا ، ولا وقت للتفصيل ، والوصف ، والافعال هنا كثيرة ومتلاحقة ، وكافية لبناء الحدث .

اما القصة الثانية " ثمن صحن الفول " فالفعل فيها واحد فقط ، وهو تفكير الحاج رشيد في اغتصاب زوجة الحمال ، ومحاولة هذا الحمال قتله ،

واقدام حمال آخر على قتل زميله وانقاذ معلمه ، والطفل ابن الحمال ، يكتشف ذلك كله ، ويقع في دوامة ، ويسقط مغشيا عليه .

الفعل هنا ،واحد ، وهو بطيء، وتسبقه حالات كثيرة من التوتر والانفعال والتفكير والتخطيط ، ولا بد من كشف الشخصيات ، والدخول في عمق كل شخصية ، وتوضيح ماضيها ،ولذلك كان لا بد من السرد والوصف والتصوير والحوار وحده لا يكفي .

وهذه القصة بنيت في شكل الاصوات المتعددة ، والشخصيات المختلفة والفعل الواحد ، فكل شخصية تتحدث عن فعل واحد ، او موقف واحد ، ويتكرر الحديث عنها ، وينكشف الحديث عنها ، وينكشف اختلاف وجهات النظر بين الشخصيات مع الاتفاق في الفعل .

واتبع المؤلف في قصة " الممرضة اسلوب المرآة ، فصور شاعرا كهلا ، ترك الشعر ، وسئم الحياة ، وملها ، بسبب فقره ، ثم أدخل عليه شابا ، في نصف عمره ، يهوى الشعر ، ويعجب به ، ويمثل شبابه ، ويشبهه يوم كان شابا ، وكأن هذا الشاب امرآة يرى فيها ذلك الكهل ماضيه .

وفي عدة قصص اتبع المؤلف اسلوب الحلم ، وكان احيانا يبدأ قصصه بالحلم ثم يجعل القصة او نهايتها مفسرة له ، وهي أحلام متنوعة ، وان كان بعضها غير موفق ، وحظه من طبيعة الحلم قليل ، كالحلم في قصة " يوم لرجل واحد " ونرى ان الحلم احد الخيوط التي تمنح القاص وحدتها .

وهنالك خيطان آخران ينسجمان في المجموعة عنصروحدتهما ، وهو تشابه بعض الشخصيات ، ونموبعضها الاخر .

وفي قصة يوم لرجل واحد ، يظهر شاب وخطيبته ، يشتريان من تاجر البناء دارا ، والشاب مدرس وخطيبته معلمة ، ثم نراهما مرة اخرى في قصة " دعوى خاصة " او نرى شبيها بهما على الاقل ، فنحن نرى مدرسا ، وزوجة موظفة ، وفي هذه القصة نسمع عن بنت صغيرة ما تزال في

سن الرضاع اسمها امل .

وفي قصة " الممرضة " نرى مدرسا يكتب الشعر وزوجة يبدو أنها ربة بيت وغير موظفة، ثم نرى بنتا شابة اسمها " امل ".

ونحن نرجح ان تكون هذه الشخصيات واحدة ، وقد نمت ، وتطورت خلال القصص الثلاث ، كما نرى في هذه الظاهرة مايدعم وجهة نظرنا في وحدة قصص المجموعة فنيا وفكريا ، ونستطيع ان نستدل من هذه الظاهرة ايضا على تملك المؤلف نزعة روائية واضحة ، ولا سيما في قصته : ثمن صحن الفول .

ولكن ينبغي لنا ان نذكر ان هذه النزعة لا تفسد القصة عند المؤلف وتحفظ لها كيانها ، بل ينبغي القول ان المؤلف يستطيع التخلص منها بحذاقة حيث يكون هذا ضروريا ، كما رأينا في قصة : "يوم لرجل واحد " .

ولكن خيوط الوحدة تعترضها سريعا خيوط التنوع لتحدث نسيجا ملتحما، ومن هذه الخيوط الوثائقية او التسجيلية ، وهو الاسلوب الذي اتبعه المؤلف في قصة " حكاية الولد " ولكنه لم يتقيد بالتسجيلية ، ولا بمعناها الضيق ، وهي تظهر في حديث شاب فلسطيني عن شقيقه الذي قام بعملية فدائية في الارض المحتلة والمؤلف يسجل حديث الشاب بنصه وبحرف متميز عن حرف القصة ، كما يسجله باللهجة العامية ، لمنحه طابع الوثائقية ، وليوضح من خلاله شخصية الشاب الفلسطيني ، ثم يضع في نهاية القصة تعليقات وثائقية ، يستمدها من الصحف ومن شريط تسجيل ، وعدا ذلك فالقصة غير تسجيلية ولا وثائقية ، وههنا يتضح عدم التزام المؤلف بمنهج يقيد به نفسه ، فهو لم يخض في رواية تفاصيل العملية الفدائية ، ولم يصورها وانما قدمها بايجاز من خلال الحوار .

وتمتاز هذه القصة بعد ذلك بتقديمها ثلاث قصص في بناء واحد يقوم على تيار الوعي ، وهو بناء معقد، محكم يظهر من خلاله بؤس حياة الموظف وجدب معيشته التي يسعى الى اغنائها بالشعر، والتعويض عما فيها من شلل وغياب القدرة على الفعل وتقابلها على الفور حياة الشاب الفلسطيني الذي استشهد ، بما تزخر به احياته من بطولة وكفاح وقدرة ، على الفعل ، وبين هذه الحياة وتلك تظهر حياة شاب ادهشته الحضارة القريبة فانجذب اليها وذهل عن واقعه فلم يرتبط به الارتباط الصحيح .

ولقد اتبع المؤلف اسلوب المنولوج في اكثر قصصه ،كما في قصة : " دعوة خاصة " و " الدار الجديدة " ، و " المرآة " و " ثمن صحن الفول " و " الممرضة " و " العصفورة والوزير " ويبدو انه الاسلوب المفضل لدى المؤلف ، اذ يستطيع من خلاله ان يستبطن ذات البطل ، وان يصور طبيعة علاقته مع الواقع الخارجي، وكان اعتماد المؤلف على اسلوب السرد التاريخي قليلا ، ويبرز في قصص : الاجهاض " و " يوم لرجل واحد" و " رجل بين المسافرين

ونلاحظ تقيد المؤلف في معظم قصصه بمكان واحد ، وزمن لا يزيد على أربع وعشرين ساعة ، كما نلاحظ حرصه على احداث الصراع بين الشخصيات ، وبدايته قصصه من مرحلة تتأزم فيها الامور وتتعقد ، وربما كان هذا نتيجة تأثره بالمسرح الذي هو معنى بدراسته على ضوء ما نعرف .

ونشير الى تحميل المؤلف عناصر بعينيها في بعض القصص ابعادا وقيما ودلالات نفسية تتحول بها تلك العناصر الى رموز او ما يشبه المعادل الموضوعي الذي يزيد القصة قوة ، ومن ذلك العصفورة في قصة " العصفورة والوزير " التي ترمز الى الطفولة والبراءة والطهر، ونرى ما يشبه ذلك ايضا في قصة " يوم لرجل واحد " حيث يقدم المؤلف المطر بوصفه خلفية للحوادث ودائما يتكرر هطول المطر ليشير الى الخصب الطبيعي والعطاء ، وتظهر في خلال المطر سيارة تاجر البناء بوصفها شيئا صناعيا آليا يخترق به التاجر الخصب الطبيعي ويدمره وتنتهي القصة وهي تصف مساحات لسيارة وهي تزيل المطر المنكسب على اللوح الزجاجي فتتضح الرؤية امام التاجر، لتدل على أن الطبيعة عادلة وخيرة ، ومعطاء وان المستغلين هم الذين يدمرون خيراتها ويسيطرون عليها بما يملكون من وسائل السيطرة ، ونستطيع ان نذكر في هذا السياق الشعر ايضا بوصفه معبرا

عن البراءة والنقاء وبعض ابطال القصص شعراء ، مثل قصة : " حكاية الولد " وقصة " الممرضة " ومن العناصر التي تحمل دلالات رمزية الشطرنج في قصة " خصام " التي تشير الى لعب المدير ووكيله بمصير الموظفين وكأنهما يلعبان بالشطرنج والكلمات المتقاطعة في قصة " دعوة خاصة " التيترمز الى تفاهة الانماط الثقافية التي تتعلق بها الطبقة الارستقراطية .

ونعرض اخيرا للجانب اللغوي في قصص المجموعة فنسير الى نقاء اللغة وتألقها وجمالها العفوي ، دونما تكلف وتصنع ، وهي ذات مستويات متعددة ، فعلى صعيد المنولوج تظهر اللغة مشحونة بانفعالات قوية ويتم الانتقال فيها من جملة الى جملة دونما حروف عطف او تفسير وتجري ههنا في تدفق سريع لتحمل خطرات النفس ، وعلى صعيد الاحاسيس تنقل اللغة في بعض المقاطع استجابة الحواس بالاعتماد على دقة الدلالة اللغوية للكلمة غالبا وبالاستعانة بالمعنى المجازي احيانا وفي معظم الحالات يتم تقري استجابات الحواس كلها لا لوصفها وانما لاثارتها ، وعلى صعيد الحوار فالمستوى اللغوي المستخدم هو الفصيح البسيط القريب من الحوار اليومي ولكن ليس العامي ، ولا يستثنى من ذلك غير " حكاية الولد " التي كتب حوارها باللهجة العامية سبقت الاشارة اليها .

والحوار في معظم قصص المجموعة قصير سريع الانتقال من شخص الى آخر ، وفيه تلوين وتنويع ، وغالبا ما يتم التمهيد له بأفعال القول ، وهو مايكسبه واقعية ورشاقة ، ويبدو الحوار عنصرا اساسيا في معظم قصص المجموعة ، حتى ان قصة مثل" يوم لرجل واحد " تكاد تكون حوارية قصيرة .

اننا ونحن نعرض لمجموعة يوم لرجل واحد ، تكتفي باشارات سريعة الى ابرز خصائصها الفكرية والفنية ، ولا نحلل نماذج من قصصها ، ولكننا نجد واضحا مافي المجموعة من تجديد ومعاصرة في الموضوعات ، وأبرزها معالجة اشكالية التحضر الزائف ، كما نجد الاساليب الفنية المتطورة والمتنوعة ، وقد أحسن المؤلف في كثير من القصص توظيف هذه الاساليب في خدمة الموضوعات التي عالجتها المجموعة .

د . احمد محمد قدور

في ركاب الأيّام

أحمد الصغير

في ركاب الايام سرت وئيدا
ونشيد الحياة يخفت في الافق
وجلال الصمت الرهيب تجلى
وخطى أقدامي تنبىء عني
هتف اليأس في قرارة نفسي
ثم جالت روّاي ملتمسات
هكذا كنت عندما قلت شعرا
دافع هاتف بأعماق نفسي
لا أرى شيطانا به أو ملاكا
خلق الشعر في حياتي جمالا
قد أرى مايراه غيري ولكن

أتمشي وظلها الممدودا
رويدا فما وعيت النشيدا
فكأني أرى الجلال جمودا
خلسة أنني أسير وحيدا
أن أمرا لا أرتضيه أريدا
خلف هذي الآفاق كونا بعيدا
لأناجي نفسي به والوجودا
همه أن أقول شيئا جديدا
بل أرى فيه طائرا غريدا
يتغنى به الرواة قصيدا
ينفخ الشعر في روّاي الخلودا



التراب في مدينتي

شعر: عبدالكريم دندي

من دون أن يعاين الحياة
يحلم بالثلج الذي يعمد الجذور في التراب
يسائل الأشجار همسة الغزل
ويشعل القلوب في مفارق الامل
من قبل أن يقول : هذه بداية السبيل
يأخذ من حقيبتي " زاد السفر "
ويهزج النشيد يا مساقط المطر

* *

الحب عندما يحط في ديارنا ، تضج ساحة الميدان
فيفرح الاحباب .. يضحكون
يسلمون باليمين تارة وبالشمال يأخذون
يزركشون الحلم عند شاطىء النخيل
ويقرأون جهرة صحيفة الرحيل
ما يذهل العصفور عن ملاعب الاصيل

* *

عرفته فتى وسيم الطلعة
رأيته في ساحة المدينة
يقول شعرا غاضبا بين يدي أميرتي
يأخذ جل ما يريد من حقيبتي :
أمانيا عذاب
قطرتي حنان
وعندما عيناي قابلت عينيه في الميناء

تفتحت كالشمس فوق ثغرنا بشارة الهناء
ونورت سبيلنا الممتد صوب اليابسة
عرفته ، كما البحار تعرف الغروب
نقشت فوق صدري الطري أسمه الكريم
" عبد الحليم "
شاهدته فتى خجول
يقول ما تذيعه الفصول
آنست في عيونه الوفاء
في صوته الرجاء
وفي جبينه الحياء والاباء

* *

عقارب الساعات لا تنام
ومرت الايام فوق عمرنا ، تطاول الوداع
تسابق الغيوم في مدارج الشعاع
وصاحبي الخجول
ينقر من فؤادي الوفي حبتي ميار
واحدة لقلبه .. عرار
وحبة لفكره .. دثار
كنت السعيد في مسارح النهار
فالحب أن تجود ، لا تغالط الحساب
وكان فصلي المعرش الجذور
وعندما فشلت من فؤاده الرضا في طقسنا الغرير
أذوب الجليد عن بيادري
خلف لي بضعة أسطر قصار
على ضياء شمعة تموت
قرأتها العشية
كشفت سترها
عرفت صاحبي : / عبد الحليم / في الختام

قد أفرد الشراع ـ شاهد القفول منذ حين
ودعوة الى التجوال في البحار
جولته ـ كما يقول ـ لن تطول

* *

عشرون عاما بعدها سنة
منتظرا بريده / ايابه / أنا
وفي يديَّ باقتا زهور
وشوق وجد طال واستوى
وفي الخريف .. عاد
لمحته ..
رفرف طير الحب في دمي وطار
حققته
تفجر الحنانُ بيَّ ينبوعَ مرحلةٌ
شاهدت زورقا مشوها يقوده شراعي العتيق
صوب اليابسة
عرفته بلا عناء
رأيت صاحبي ممزق القميص والجلباب
يحمل آلة التصوير
ناديته لما دنا من شاطئ النخيل
لوحت بالمنديل في انفعال فرحتي
صرخت : يا صديقي القديم ..
يا أسير غنوتي
رفعت باقة الزهور للسماء
غنيت مقطي نشيد " موطني "
فلم يرد لي تحيتي ..
ضيعني ..
يا ويلتي من المحن

من غربة الزمن
غلفني الفراق بالضباب
صيرّني المجهولَ في الاعراب
مركبه ينساب فوق صفحة المياه
يود لو يطير كاليمام
ركضت فوق الشط صارخا " عبد الحليمّ "
شوح لي ذراعه الموشومُ
صورني بلا ابتسامْ
ثم مضى نحو الشمال
من غير أن يقول لي " الوداع "
من دون أن يرد لي الشراع

* *

عدت وحيد خطوتي ، تلفني كآبةٌ
وليس من يمد لي الذراع
ظلي على الطريق عند هاتيك التلال
يقبل الصوان والاشواك والورود
أجر ساقا متعبةً
قد هدهدها العقوق والاهمال
وخصلة من شعري المفتول مهملة
تلاعب النسيم مرغمة
وفي الفضاء
سرب من الطيور يزرع المدى
يجاهد العناء
يفارق الظلام والرياء

في رحاب الأدب السعودي

اعداد: تميم الحكيم

اضاءة على نشاط نادي مكة الثقافي الادبي لعام ١٤٠٩ :

(نادي مكة الثقافي الادبي) من أكثر الاندية الادبية في (المملكة العربية السعودية) نشاطا وفعالية ، بسبب تميز موقعه الجغرافي ، وطوله مدى موسمه الثقافي ، وبسبب اتساع نفوذ القائمين عليه ، وحسن الدعاية له وتقديمه ما يستقطب الجمهور اليه .. في وقت تشكو فيه بقية الاندية من أزمة الجمهور وعدم التجاوب مع أنشطتها وقلة الحضور ..

وقد قدم نادي مكة الثقافي الادبي خلال احد عشر شهرا من عام ١٤٠٩ هجرية ثمانية وعشرين من النشاطات المنبرية ، ضم المحاضرات والمسابقات الدينية والادبية ، والمسرحيات والامسيات الشعرية .

وكان عدد المحاضرات في هذا الموسم (٢٣) محاضرة ، شملت الموضوعات التالية :

١ ـ المحاضرات الدينية وعددها ثمانية .
٢ ـ المحاضرات الادبية : وعددها ثمانية .
٣ ـ المحاضرات التاريخية وعددها ثلاثية .
٤ ـ محاضرات منوعة : وعددها اربعة .



وممن شارك في القاء المحاضرات الدينية الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد ابن صالح بن عثيمين ، والدكتور يوسف القرضاوي ، والشيخ عبد المجيد الزنداني ، والدكتورجابر الطيب ، والدكتور عوض الجميعي ،

وكان ممن شارك في الحاضرات الادبية / الاستاذ عزيز الضياء ، والاستاذ عبد الكريم نيازي ، والدكتور عبد الحكيم حسان ، والدكتور مصطفى عبد الواحد ، والشيخ عبد الله بيه ، والدكتور احمد عبد الله النعمي ،والاستاذ عبد العزيز الرفاعي .

وممن شارك في المحاضرات التاريخية الشيخ حمد الجاسر، والشيخ عبد العزيز الرويشد .

كما أقام النادي أمسيتين شعريتين احياهما كل من ابراهيم علاف ، مصطفى زقزوق ، معيض البخيتان ، عبد المحسن حليت مسلم ،عبد الله باشراحيل .

هذا وقد كرم النادي الشاعر الكبير حسين سرحان في أمسية أدبية ، كما كرم المشاركين في مسابقة القرآن الكريم الدولية.. ونظم مسابقة لحفظة القرآن ، في النصف الاول من شهر رمضان..

وأقام النادي حفلا مسرحيا أحيته فرقة النادي من الهواة ، وكان موضوعه عن التدخين والمخدرات وشمل عددا من الفقرات التمثيلية واللوحات ، كان منها تمثيلية (وصية الضحية) ومسرحية (الامل) ولوحة (تجار المخدرات) وتم في هذا الحفل توزيع جوائز مسابقة النادي عن المخدرات والتدخين ، على أحد عشر من الفائزين ..

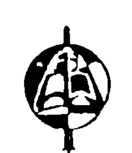
الاصدارات :

ولم يكتف النادي بمثل هذه النشاطات ، بل قدم للمكتبة السعودية خلال أقل من سنة أربعة من الاصدارات ..

كان أولها للاستاذة ليلى عبد الله العطاس ، وهو بعنوان (دور التخطيط التربوي في رفع كفاءة التعليم الابتدائي للبنات في المملكة العربية السعودية)

وفي مجال الادب أصدر كتابين أولهما عن (شعر ضرار بن خطاب الفهري) وثانيهما بعنوان (الاتجاه الاخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري)

وقد تناول كتاب ضرار حياته وما فقد له من أشعار .. وتأتي أهمية هذا الكتاب لكونه يجمع بيان شاعر مخضرم كبير، لم يحظ من النقاد والمؤرخين بالاهتمام الكثير ، بسبب ضياع شعره وتعرضه للتزوير ، وقام بدراسة وتحقيق وجمع مادة الكتاب الدكتور عبد الله سليمان الجربوع ، وهو يقع في ١٥٨ صفحة ..



مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي (الكتاب ٦٤)

الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي

حتى نهاية القرن السابع الهجري

تأليف

الدكتور محمد بن مريسي الحارثي

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

أما الكتاب الثاني الادبي، فكان عن (الاتجاه الاخلاقي في النقد العربي) ،وفيه تناول مؤلفه الدكتور محمد مريسي الحارث وظيفة الشعروالنقد ، كما تناول العوامل والاسباب التي أسهمت في تحديد ملامح الاتجاه الاخلاقي في النقد العربي حتى اواخر القرن السابع الهجري ..

مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي (الكتاب ٦٣)

ضرار بن الخطاب الفهري

دراسة وجمع وتحقيق

الدكتور عبدالله سليمان الجربوع

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

وكان الكتاب الرابع الذي أصدره النادي عن (المدرب والتدريب الرياضي) وهو يتيح للمدرب الرياضي التعرف على الطرق والاساليب والسياسات المختلفة التي توفر له فرصا مناسبة لممارسة مهنة التدريب الرياضي بأسلوب علمي وعملي .

ومن ناحية اخرى شارك النادي في عدد من معارض الكتب واستقبل وفودا مختلفة من زوار مكة ، والعلماء والمفكرين وأهل الادب ..

وأهدى النادي من اصداراته وتسجيلاته العشرات ، للمحاضرين وللزائرين ، ولكبار الرجالات ..

وهكذا نفذ النادي برنامجه الثقافي السنوي الناجح برعاية ومتابعة ودعم رئيس النادي الدكتور راشد الراجح .

كاتبات سعوديات :

هند صالح باغفار :

من مواليد جدة عام ١٩٥٤ م وقد درست التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز ، شاركت بنتاجها في الصحف

والاذاعة والاندية الادبية ، ولها من المؤلفات عدد من الروايات ، وكتب المقالات ..

ومن رواياتها المطبوعة (البراءة المفقودة) ، (جروح في جبين الحياة) ، (الرحلة الأخيرة) (العطاء الاكبر) ، (الهدية) ولها من كتب المقالات و(محطات مسافرة) و (نافذة على الحائط المهدوم) .

* سهيلة زين العابدين حماد :

من مواليد المدينة المنورة وقد تخرجت من كلية الاداب بجامعة الملك سعود بالرياض .. تهتم في بحوثها ومقالاتها بقضية المرأة في المجتمع ، وبقضايا الادب — الاسلامي ، ولها عدد من الاثار المطبوعة ، وهي عضو في رابطة الادب الاسلامي) ..

* نجاة الخياط :

من مواليد عام ١٣٦٣هـ ..

أتمت تعليمها في بيروت ثم رجعت الى مسقط رأسها ، وعالجت الكتابة ناشرة المقالات الادبية والقصص القصيرة ، حيث تتقرى في كتاباتها عن نزعة اصلاحية فيما يتعلق بمنزلة المرأة في المجتمع ..

ومن آثارها المطبوعة مجموعة قصصية بعنوان (مخاض الصمت) .

قالوا :

* التجديد هو اضافة الى ما فعله الاسلاف ، وليس الغاء له .. والتجديد الاصيل هو الذي ينبع من الداخل ولا يستورد ..

الامير الشاعر خالد الفيصل

* القارىء هو مسرح الشاعر وعالمه ، وجمهوره ، ونقده ،وحبه ، وهو مصدر قوته وضعفه ، وأمله وخوفه ..

الشاعر الدكتور ابراهيم العواجي

* التراث هو الرصيد وهو الحصن ، وهو مصادر النبع ، وهو الحصاد الحضاري للمجموعة البشرية أما التقاليد فتخضع لمتغيرات كثيرة لتفي بحاجة المجموعة البشرية في مسيرة التطور ..

فالتراث مضمون بينما التقاليد شكل ، وكم من تقليد كان سائدا وله احترامه أصبح اليوم نسيا منسيا ، لعدم موائمته لواقع الحال .

القاص الدكتور عصام خوفير

أبيات مختارة

قد كنت أحسب ان فيك تواضعا
وتدللا كطبيعة الفنان

ان يرتدي ثوب التكبر عزة
فبقلبه فيض من الوجدان

لا ينحني من دلة لكنه
قد ينحني أدبا الى الانسان

من عزه النجح العظيم فما رعا
أدب العظيم نحا لغير أمان

ابراهيم فودة

هيهات

أنور الجندي

هيهات ، هيهات ،طال الليل فانتظري قلبا بغير جناح الحب لم يطر
دلهته ، فأفاقت كل جارحة في صدره ، واستهان الشوق بالقدر
وجاء تأكله الالام جائرة .. يا ليل أين رحيق الخمر ، والوتر ؟
وأين أين ليال كلهن هوى .. وكنت فيهن ملء السمع ، والبصر ؟

قمر.. وامرأة.. وشاعر

علي الزينة

اهدأ قليلا أيها القمر ... أو ما تعبت وهدك السهر
هل نجمة أغوتك يا تعبا ... فوقفت في الابواب تنتظر
هل نجمة صدتك وارتحلت ... حتى على الافاق تنتحر
يا سابحا في العتم مكتئبا ... الفان نحن الضوء والشرر
يا عائما في كف زوبعة ... مات الهوى والانس والسمر
لو كنت مثلي كنت منطرحا ... فوق الثرى تغتالك الذكر
قالت مللتك قلت يالغبة ... كالنار تحرق كيف أصطبر
قالت : كرهتك قلت : واغدنا ... من أي كرم سوف أعتصر
فوقفت أمسح دمعة سقطت ... سالت على آثارها أخر
طال الوداع وأزهرت قبل ... وحشية واساقط الثمر
نهدان قد أفلت أسرهما ... اذا ما ارتفعت بهن تنحدر
مطر ينشف جوعه مطر ... وسكينة قد لفها عمر
وأطيل لذاتي اذا اختصرت ... وتطيل ما قد جئت أختصر
يا لذة أشعلتها زمنا ... في موقد اللذات تختمر
هذي كروم الزهر في شفتي ... لا تسألوها يخجل الزهر
ما زال عندي من ضفائرها ... خصل بعطر العشق تأتزر
لا تسألوها سرها امرأة ... ضاعت ولا شط ولا جزر
الريح تعول خلف رابية ... وهما علي الليل والمطر
متمزق في غربتي قلق ... متحرق مستوحش ضجر
عندي أغاني العشق مترفة ... أجلو قوافيها وأبتكر
جاءت قوافي الحسن عارية ... خجلى وجاء الشعر يعتذر
عصفورتي رفت مواسمنا ... وعلى التلال تبرج الشجر
النبع يروي بعض قصتنا ... وسياجنا والعشب والحجر
فمن الشفاه السمر لا خبر ... ومن العيون السود لا خبر
أحرقت عمري في مواقدها ... طال السفار أينتهي السفر

علي الزينة ـ حماه


سوريا
التاريخ . ال
الجمال . ال
تفتح ذراعيها الاست
من كافة الخ

طالعوا صباح كل سبت

الثقافة الأسبوعية

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش